البراهين الجلية

في رد شبهات خصوم الصوفية

رقم الإيداع: ١٧٧٣٨
الترقيم الدولي: ٢-١٤-٦١٥٦-٩٧٧

البراهين الجلية

في رد شبهات خصوم الصوفية

أستاذ دكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي النقشبندي

نائب رئيس جامعة الأزهر

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

ومؤسس كلية القرآن الكريم بطنطا



بسم الله الرحمن الرحيم

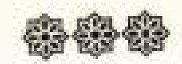
الحمد لله الذي جعلنا من زمرة أهل الحق وأزهق عنا الباطل، وكشف الريب، وأعزنا بحب سيدنا رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام، وجعلنا موالين لأولياء الله الصالحين محبين لذواتهم المباركة ومناهجهم القويمة، وأنار لنا بهم الطريق وسلك بنا صراطهم المستقيم فأبصرنا فيه الهدى والرشاد وآتانا الله من فضله من وضوح الرؤية وساطع البرهان ما نصل به إلى درجة الإيقان بحيث لا تكاد تلوح في الأفق شبهة إلا ويتبعها شهاب ثاقب من وحي الكتاب والسنة، فتذوب في الفضاء من وهج سطوعه وتألق نورانيته، كما تذوب قطعة الثلج حين تحرقها أشعة الشمس.

ومن ثم كانت كل قاعدة في سلوك القوم الصوفية واضحة الانتماء إلى أدلة الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وكل معلم من معالم الطريق الصوفي الحقيقي جلي الارتباط بأصول الشرع المحمدي الحنيف مهما أرجف المبطلون ومهما جادل الزائفون.

وقد اقتضاني بيان هذه الحقيقة الناصعة أن أوضح خطوط الدفاع عن حقيّة التصوف وشرعية طريقة الوضاء، وأن أضع بين يدي سالكيه والراغبين في سلوكه وطلاب الحقيقة عامة قذائف الحق الدامغة وشهب الحقيقة الثاقبة التي تدمغ أباطيل المتعنتين وتلفح بنارها وجوه شبههم المارقة عن الحق والصواب متناولاً الشبهات التي توجه إلى التصوف والصوفية بتفنيد اللبس فيها وتبديد الإيهام المكتنف لها لتنقشع غياهب الباطل المتلبس بها أمام ضوء الدليل القاطع من الكتاب والسنة ومن

هدي سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ونظرًا لتشعب أطراف تلك الشبهات وتفرعها وتكاثرها فإنني سأعمد إلى أصولها الرئيسية التي بإزهاقها تتداعى الفروع والشعب وتموت الجزئيات المتكاثرة لانحسار روح الباطل عنها بسطوة الحق الصريح.



الشبهة الأولى
حول شرعية التصوف وحقيقته

يزعم خصوم الصوفية أن التصوف دخيل على الإسلام، وأنه لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة الأولى، وأنه لا سند له من الكتاب أو السنة بدليل أن كلمة "تصوف"، أو "صوفية" لم ترد في القرآن الكريم، أو على لسان الرسول ﷺ أو صحابته [1].

والجواب على ذلك: أننا حين نبغي الإنصاف في الحكم على التصوف لابد لنا من استحضار حقيقته عملاً بالقاعدة المشهورة: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره". فما حقيقة التصوف المُدعى عليه بأنه دخيل على الإسلام؟

---

(١) تتردد هذه الشبهة على ألسنة الوهابيين وفي مصنفات خصوم الصوفية وقد نقلتها مجلة المسلم للرد عليها في العدد ٣٣ سنة ١٤٠٢هـ

لنستحضر بعضًا من تعريفاته الاصطلاحية التي تصور جوانب حقيقته:

لقد عرفه الإمام أبو محمد الجريري رضي الله عنه بأنه "الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني"[1].

أفيقال عن هذا إنه ليس من الإسلام؟؟ الإمام معروف الكرخي- رضوان الله عليه- عرفه بأنه "الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"، فهل يعد ذلك خروجًا عن الإسلام؟؟.

والإمام الشريف الجرجاني إذ يقول في التعريفات: "التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا فيسري حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا فيسري حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل

---

(١) انظر الرسالة القشيرية للإمام القشيري بتحقيق د/ عبد الحليم محمود ٢/ ٥٥٦.

للمتأدب بالحكمين كمال" [1].

فبالله هل يعتبر ذلك المعنى دخيلًا على الإسلام؟؟ وماذا يتبقى في الإسلام إذا تركت آدابه الشرعية وهجرت الحقائق إلى الأباطيل واستبد الطمع فيما عند الخلق، وخرج المسلمون من الأخلاق السنية ودخلوا في الأخلاق الدنية؟؟

إن التصوف بما أوردنا له من التعريفات وبما عرف في كتب العلماء هو روح الإسلام لأنه عبارة عن الجانب الإحساني من هذا الدين الحنيف الذي عرفه سيدنا رسول الله ﷺ- في الحديث المتفق عليه- بقوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [2].

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني: ص٥٢ ط/ الحلبي.

(٢) خرجه صاحب "الفتح الكبير ١/ ٥٠٥" بهذا اللفظ عن الإمام مسلم والثلاثة، وأخرجه البخاري في صحيحه "١/ ١٢ ط حجازي" من

ترى هل وصل كل مسلم إلى مقام "أن تعبد الله كأنك تراه" كلا، فما وصل إلا أهل الصفا والمشاهدة الذين وصفهم الحق تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، وبقوله جل شأنه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2]،وبقوله جل شأنه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[3]،ثم بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

حديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان... الخ بلفظ "قال ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه..." إلخ.

(١) سورة النور/ ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب/ ٢٣.

(٣) سورة الكهف/ ٢٨.

لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [1].

أما دعوى أن التصوف لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة الأولى في الإسلام فهي دعوى باطلة ووهم كاذب، فإن التصوف كحقيقة ومادة هو عبادة وتزكية وخلق ومعرفة، وذلك كله في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم سيدنا محمد ﷺ فوجوده ملازم للكتاب والسنة بالضرورة.

تأصيل تسمية (الصوفية) وتحقيق وجودها في عصر التابعين وقبل ذلك:

ثم إن التصوف كتسمية، لا يقال إن لم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة أيضا إلا من منطلق الجهل بالحقائق العلمية والتاريخية، فإن اسم الصوفية كان موجودا على عهد التابعين وفي النصف الأول من

---

(١) سورة يونس/ ٦٢- ٦٣- ٦٤.

القرن الثاني، إذ ثبت عن الإمام الحسن البصري- الملقب بسيد التابعين والمتوفى سنة ١١٠هـ عن ثمان وثمانين سنة رضي الله عنه قال: "رأيت صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما معي"(١).

كما رُوي عن الإمام سفيان الثوري- الملقب بأمير المؤمنين في الحديث والذي قال عنه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: "لم يتقدمه في قلبي أحد"، وتوفى سنة ١٦١هـ رضي الله عنه- أنه قال: "لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء"(٢).

---

(١) انظر الأثر في اللمع للطوسي ص٤٢ وترجمة الإمام الحسن البصري في تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٧١.
(٢) انظر الأثر في اللمع للطوسي ص٤٢ وترجمة الإمام الثوري في تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣.

بل لقد كان لقب "صوفي" معروفًا قبل الإسلام ومقترنًا بالنسك والعبادة، إذ قال صاحب "اللمع": "وقد ذكر في الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحق بن يسار وعن غيره: يذكر فيه حديثا: أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف فإن صح ذلك: فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح والله أعلم"[1].

وقد نقل ابن منظور- في لسان العرب- عن ابن سيده اللغوي في مادة "صوف" ما نصه: "وصوفة: أبو حي من مضر، وهو الغوث ابن مر أو بن طابخة بن

(١) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي بتحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ص٤٢.

إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي: يفيضون بهم. ابن سيده"[1].

وقال: "وصوفه: أبو حي من تميم وكانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى"[2]. ومن ثم يعلم: أن اسم الصوفية ليس مستحدثًا بعد القرون الثلاثة بل له أصل- من قبل الإسلام- مرتبط بالتنسك والعبادة وينسب إليه العباد والزهاد والأخيار، فإذا ما قيل: ولماذا لم يطلق لقب الصوفية على صحابة النبي ﷺ أو التابعين من بعدهم؟؟.

أجيب بأن الصحابة رضوان الله عليهم قد حازوا بصحبتهم لسيدنا رسول الله ﷺ أعظم شرف وأسمى فضيلة مع أنهم أئمة الزهاد والعباد والمخبتين والمتوكلين، لكن لعظم مكانة الصحبة التي ببركتها

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١١/ ١٠٢.

(٢) المصدر السابق.

نالوا ما نالوه من الفضل والتحقيق استحال أن يلقبوا بلقب غيرها أو يفضلوا بفضيلة سـواها إذ هي أشرف المناصب والمراتب فأوثر وسمهم بها.

ثم جاء التابعون الذيـن صـحبوا الـصحابة ورأوا تبعيتهم لهم أشرف سمة فلقبوا بالتابعين- مع أن لقب الصوفي كان موجودًا بصفة فردية كما بينـا- وكـذلك الأمر في أتباع التابعين.

إلى أن ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفـرق وأخذت الدنيا طريقها إلى القلوب في نهاية المائة الأولى من الهجرة، وكادت الحقائق تبدل حتى خشي السلف الصالح على الدين، فانتدب عند ذلك العلمـاء لحفـظ هذا الدين الحنيف، فقامت طائفة منهم لحفـظ مقـام الإسلام وضبط قواعده وفروعه كأئمة الفقه الأربعـة وأتباعهم وعرفوا بالفقهاء.

وقامت طائفة أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده كالإمامين الأشعري والماتريدي وأشياخهما وأصحابهما، وعرف هؤلاء بأهل الأصول وعلماء العقائد والمتكلمين.

وقامت طائفة أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله وسلوكياته كالإمام الجنيد والإمام معروف الكرخي والإمام المحاسبي وغيرهم وهؤلاء هم الصوفية.

ومن ثم يقول الإمام القشيري قدس الله سره: "فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم "التصوف"، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[1].

---

(١) انظر في التحقيق العلمي: اللمع للطوسي/ ٤٢ والرسالة القشيرية ١/ ٤٩- ٥٠ والإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام للحافظ عبد الله الصديق الغماري ١٣- ١٤.

وإن كان السلفية المعاصرون يحاولون المصادرة على التصوف بحجة أن هذا الاسم لم يرد ذكره في الكتاب والسنة فإننا نقول لهم- بعد الإيضاح السابق- إن تسمية التصوف أو الصوفية مجرد تسمية اصطلاحية لها العديد من المرادفات والبدائل القرآنية والحديثية كالولاية والأولياء وكالتزكية، والإحسان، والربانية ونحوها وكلها تصيب مضمونًا واحدًا متفقًا على حقيته وشرعيته، وشأن تسمية التصوف شأن تسميات العلوم الحادثة في الملة كمصطلح الحديث والنحو والبلاغة وعلم الكلام وغيرها. فهي أسماء اصطلاحية، ولا مشاحة في الاصطلاح!!.

على أننا لو واجهناهم بمثل منطقهم وقلنا لهم إن كلمة "السلفية" لا ذكر لها في كتاب أو سنة: لم يجدوا إلى الجواب عن ذلك سبيلًا!! ولكننا لا نتوقف عند الأسماء لأننا لا نتلهى عن اللب بالقشور ولا عن الأعماق بالصخور!!.

تصريح ابن تيمية بأن الصوفية هم صديقو هذه الأمة:

ثم نقول بعد: إن ابن تيمية- إمام السلفيين- لم ينكر على الصوفية تسميتهم واشتقاقها ونسبتها إلى لبس الصوف كما فعل أخلافه، وسلم بأن صوفية الحقائق نوع من الصديقين، إذ قال بعد بيان معنى الصوفية في مصطلح القوم: "وهم يسيرون بالصوفي إلى معنى الصديق"[1].

وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون كما قال الله تعالى:

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2].

ولهذا: "ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي، لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين، فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي

---

(١) الصديق: ضبطه بتشديد الدال وكسرها بعد الصاد المكسورة.

(٢) سورة النساء/ ٦٩.

اجتهدوا فيه.." (1).

ثم قال بعد إيراد آراء الطوائف المختلفة في شأنهم: "والصواب:أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم (2) من هو ظالم لنفسه عاص لربه" (3).

هذا هو حكم ابن تيمية في الصوفية وكتبه طافحة بالنقول عن أئمتهم العارفين المتحققين،

---

(1) انظر رسالة الصوفية والفقراء في مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد الحادي عشر ص16- 17.

(2) لاحظ تعبيره بقوله: "من المنتسبين إليهم" إذ لم يقل "وفيهم" كما قال في الصنفين السابقين: السابقين المقربين وأصحاب اليمين، للإشعار بأن الظالمين لأنفسهم ليسوا في الحقيقة من الصوفية.

(3) الصوفية والفقراء بمجموع فتاوى ابن تيمية ص18.

أفيقال بعد ذلك، إن التصوف دخيل على الإسلام ولا سند له من الكتاب والسنة؟؟ كيف وكل قواعده ومعالمه مستقاة من القرآن العظيم وهدي البشير النذير صلوات الله وسلامه عليه؟؟ وآية ذلك- على سبيل المثال- أن الإمام عبد الله الأنصاري الهروي "ت سنة ٤٧١هـ" رضوان الله عليه قد صنف كتابه الفريد "منازل السائرين في بيان مقامات السالكين في طريق الصوفية المستقيم" ورتبه على عشرة أقسام كل منها عشرة أبواب مستدلًا لها بآي القرآن العظيم ومؤصلًا لها بالأدلة التنزيلية.

تأصيل مفاهيم التصوف من الكتاب والسنة وكلام العلماء ومنهم ابن القيم:

وقد جاء ابن القيم "السلفي" فشرح هذا الكتاب العمين بكتابه "مدارج السالكين" في ثلاثة مجلدات وقرر فيه جل الحقائق الصوفية بما لا يقبل الارتياب!!

وكذلك صنف الكثيرون من العلماء الأثبات المحققين على مر القرون مصنفات عديدة توثق منهج الصوفية وتقيم دلائل شرعيته واستقامة مسلكه، وأمامنا من الكتب المعاصرة مثلا كتب الحافظ عبد الله الصديق الغماري ومنها "الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام" وكتب الحافظ أحمد بن الصديق ومنها "إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء". ومصنفات الشيخ عبد ربه سليمان والشيخ صالح الجعفري وكذا مصنفات وأبحاث الدكتور عبد الحليم محمود ومصنفات الشيخ زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية وصاحب مجلة المسلم الموضحة لمفاهيم التصوف الرشيد، وغير ذلك مما يتطلب بيانه سجلًا حافلًا.

وإنني أهيب بشباب الإسلام الناهض أن يقرأ في مصادر الحقيقة من كتب علمائنا العظام دون تعصب

مسبق أو انغلاق في دائرة مذهبية محجوبة عن الضوء الكاشف الذي يملأ الآفاق خارجها، ولنكن جميعا طلاب حقيقة، مخلصين لله لا نبغي بطريقة بديلا، اللهمَّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه آمين.

الشبهة الثانية
حول التوسل والوسيلة

يزعم خصوم التصوف من الوهابية ومن لف لفهم: أن التوسل والتشفع إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين إنما هو الشرك الأكبر المنافي لتوحيد الألوهية، وأن مقترفي ذلك كعباد الأصنام الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾(١) وأن هذا التوسل لم يأتِ به أحد من الصحابة أو التابعين أو أحد من سلف الأمة الصالح(٢).

وفي الجواب عن هذه الشبهة- التي تعد المحور الرئيسي لدى خصوم الصوفية في تكفيرهم ورميهم

---

(١) سورة الزمر/ ٣.

(٢) انظر منشأ الشبهة عند ابن تيمية في "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" ص ١٧- ١٨ ط السلفية انظر امتدادها في كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد ص٣٤ وما بعدها.

بالإشراك والبدعة- نقول:

إن معنى التوسل إلى الشيء- في اللغة-: التقرب والتوصل إليه- عن رغبة- بوسيلة تقرب منه أو توصل إليه، يقال: توسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، قال الشاعر لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
بلى كل ذي دين إلى الله واسل[1]

بيان حقيقة التوسل من القرآن الكريم وشموله للأعمال والذوات:

وقد أمرنا الحق تعالى في القرآن بالتوسل إليه حيث قال تعالى شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟

---

(١) انظر المادة "وسل" في: مفردات الراغب ص ٥٢٣ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس- والبيت منه- ٦/ ١١٠ ثم في لسان العرب لابن منظور ١٤/ ٢٥٠- ٢٥١.

ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[١].

فلفظ "الوسيلة" في الآية الكريمة عام شامل لما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال، ولمن يتوسل به إلى الله سبحانه من الذوات الفاضلة الصالحة من الأنبياء والأولياء وعامة الصالحين، ومن ثم يعرف التوسل المشروع بأنه: هو الطلب من الله تعالى مع التقرب إليه بما يحب أو بمن يحب.

وهنا معقد الخلاف والنزاع بين الصوفية وخصومهم في التوسل، فإن السلفية قد قصروا الوسيلة في الآية الكريمة على الأعمال الصالحة وأنكروا التوسل بالذوات الفاضلة، بينما أخذ جمهور الأمة وخاصة الصوفية بعموم الوسيلة، ويؤيدهم في ذلك: تفسيرها

---

(٢) سورة المائدة/ ٣٥.

بالعموم للذوات في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[1].

فإن المعنى كما قدره المفسران البغوي- إمام السنة- والخازن: ("ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى فيتوسلون به"[2] أي أن الحق تعالى يقول لمن عبد الأنبياء والملائكة من الكفار: أولئك الذين تعبدونهم يتوسلون إلى الله تعالى بمن هو أقرب إليه ممن هو أعلا منهم مقامًا فكيف تجعلونهم أربابا؟!)[3].

فهذا التفسير يدل على عموم الوسيلة للذوات الصالحة، وقد نسبه البغوي إلى الإمام ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما.

---

(١) سورة الإسراء/ ٥٧.

(٢) انظر تفسير البغوي بهامش الخازن ٤/ ١٦٥ ط الحلبي.

(٣) انظر سعادة الدارين في الرد على الفرقتين: الوهابية ومقلدة الظاهرية للعلامة الشيخ إبراهيم السمنودي ١/ ١٩٩ط مطبعة جريدة الأهرام

هذا فضلًا عن أن ظاهر اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ عام في الأفعال والذوات ومن ادعى التخصيص في أحدهما فقد تحكم على النص بلا برهان.

بل أن الشيخ العلامة سيدي داود النقشبندي عليه رضوان الله قد أبدى ملحظا تفسيريًا رائعا في هذه الآية الكريمة في كتابه القيم "صلح الإخوان" حيث قال: "على أن ظاهر سياق تخصيصه- أي لفظ الوسيلة- بالذوات، لأنه سبحانه وتعالى قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، والتقوى عبارة عن فعل المأمور وترك المنهي، فإذا فسرنا ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون تأكيدًا للأمر بالتقوى فيكون مكررًا، وإذا أريد به التوسل بالذوا يكون تأسيسًا وهو خير من التأكيد"[1].

---

(١) انظر صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم للعلامة الصوفي سيدي داود بن سليمان البغدادي -

أما منتجه ابن تيمية في مدلول التوسل- كما بينه في كتابه: "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"- فإنه يرى أن التوسل يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ومعنى ثالث باطل عنده لم ترد به سنة فالأولان هما:

١- التوسل بالإيمان بالرسول ﷺ.

٢- التوسل بدعائه ﷺ وشفاعته.

وأما المعنى الثالث الذي يراه باطلا: فهو التوسل بالنبي ﷺ بمعنى الإقسام على الله تعالى بذاته، أو سؤاله تعالى بذاته صلوات الله وسلامه عليه، أو بذات غيره من الصالحين، فهذا عنده ليس مشروعًا؛ بل هو منهي عنه، كما أن طلب شفاعته ﷺ واستغفاره، ودعائه بعد موته وعند قبره وكذا خطاب الملائكة والأنبياء

= النقشبندي الخالدي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ ص٥٤ط نخبة الأخبار بمبي، سنة ١٣٠٦هـ

والصالحين بعد موتهم عند قبورهم، وفي مغيبهم، هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب [1].

فنقطة الخلاف الرئيسية تتمثل في القسم الثالث من أقسام التوسل عند ابن تيمية وهو ما خالف به إجماع جمهور العلماء واستجلب به إنكار أئمة الراسخين في العلم ومن سلك مسلكهم منذ عصره إلى الآن لمخالفته للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، مما أضطره أن يعدل عن موقفه هذا في العديد من أقواله المنبثة في سائر مصنفاته حتى عقد بعض الإثبات بمقتضى هذا العدول صلحًا مع ابن تيمية وتلميذه ابن القيم [2].

---

(١) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص١٨، ص٥٠ - ٧٧.

(٢) أعني بهذا - على سبيل المثال - ما قام به الشيخ داود النقشبندي سالف الذكر من تبرئة ابن تيمية وابن القيم من آرائهما المتشددة بمعارضتها بأقوالهما المخففة التي لا تكفر مسلما بذلك ولا تخرجه من الإسلام -

تراجع ابن تيمية عن رأيه في التوسل بالنبي ﷺ:

وسأقدم ها هنا الدليل على تراجع ابن تيمية عن رأيه في القسم الثالث من أقسام التوسل وهو التوسل بذات النبي ﷺ : فقد نقل الحافظ ابن كثير - وهو تلميذ ابن تيمية - في البداية والنهاية "في أحداث سنة ٧٠٧هـ" عن البرزالي أنه قال: "وفي شوال منها: شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين - أي ابن تيمية - وكلموه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، فعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال: لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله، فبعض

= بشبهة كما يفعل أخلافهما إلى الآن، فيا حبذا استشراق الحق والعودة إلى ساحة الإسلام على هدى وبصيرة.

الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء"[1].

لقد استرعى هذا التحول المفاجئ في كلام ابن تيمية نظر محققي "البداية والنهاية" فجاء تعليقهم على عبارته: "ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله" في هامش الكتاب ما نصه: "المعروف في كتب ابن تيمية وترجمته لابن عبد الهادي أنه لا يجيز هذا، فليحرر".

كما أن ابن تيمية قد تراجع عن تكفير من توسل بالمخلوق واستغاث به ودعاه، حيث قال في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" ما نصه: "فكما أن إثبات المخلوقات أسبابا لا يقدح في توحيد الربوبية[2] ولا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق: د/ أحمد أبو ملحم، د/ علي نجيب عطوي، أ. فؤاد السيد، أ.د مهدي ناصر الدين "١٤/ ٤٧" ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان".

(٢) بين ابن تيمية أن توحيد الربوبية أن لا يجعل لغير الله مع الله تعالى تدبيرا فيفرده بالخلق والضر والنفع، وأما توحيد الألوهية فهو أن لا يدعو غير الله تعالى دعاء عبادة أو مسألة "انظر اقتضاء الصراط =

يمنع أن يكون الله خالق كل شيء فلا يوجب أن يدعي المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة، كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك [1] أو غيره أسبابا لا يقدح في توحيد الألوهية، فإن أحسن أحواله أن يكون مجتهدًا في هذه المسألة أو مقلدًا فيعفو الله عنه" [2].

والآن: وقبل أن نورد تفصيل أدلة مشروعية التوسل في القسم المتنازع فيه، لابد لنا من توضيح

= المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص٣٥٥ ط المدني بجدة" وإثبات العلماء وكبارهم على أن كلا التوحيدين مستلزم للآخر بدليل قوله في الميثاق الأول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ولم يقل بالحكم، وانظر المزيد في "البراهين الساطعة" للشيخ سلامة العزامي النقشبندي ص٣٧٧ و "الرد المحكم المتين" للحافظ الغماري ص٢٠٠.

(١) المراد به الشرك الأصغر وليس الأكبر المخرج عن الملة فإن الأصغر يجتمع مع الإيمان كما بينه في "اقتضاء الصراط المستقيم" ص٤٥٢، ص٤٥٦ وكما قرره من كلام ابن تيمية وابن القيم صاحب "صلح الإخوان" ص١٠، ص١٤٦.

(٢) انظر صلح الإخوان ص٣٤ واقتضاء الصراط المستقيم ص٣٥٥ والنص فيه غير محرر ويعوزه أمانة ودقة التحقيق.

حقيقة منتجه السادة الصوفية في التوسل الذي يعتقدونه ويقيمون له دلائل شرعيته، ليعلم كل منصف أن الصوفية أحرص على التوحيد ممن يرفعون له شعارات النصرة ويرمون من هم أحق منهم برفع رايته بالشرك والبدعة.

وجهة نظر أئمة الدين المجيزين للتوسل:

وسأنقل معتقد الصوفية في هذا الصدد عن واحد من أئمتهم وهو الشيخ داود النقشبندي في القرن الثالث عشر للهجرة إذ يقول عليه الرضوان: "اعلم أن المجوزين [1] مرادهم بجواز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين أنهم أسباب ووسائل بدعائهم، أو أن الله يفعل لأجلهم، لا أنهم هم الفاعلون استقلالا من دون الله فإن هذا كفر بالاتفاق، ولا يخطر ببال جاهل فضلًا عن عالم؛ بل ليس هذا خاص بنوع الأموات،

(١) المراد بهم: المجوزون للتوسل والتشفع والاستغاثة المشروعة بالأنبياء والأولياء والصالحين.

فإن الأحياء وغيرهم من الأسباب العادية كالقطع للسكين، والشبع للأكل، والري للماء، والدفء للبس، لو اعتقد أحد أنها فاعلة ذلك بنفسها من غير استنادها إلى الله يكفر إجماعًا".

قال السبكي والقسطلاني- في المواهب اللدنية- والسمهودي- في تاريخ المدنية- وابن حجر- في الجوهر المنظم: والاستغاثة به ﷺ وبغيره: بمعنى التوسل إلى الله بجاهه ووسيلته، وقد يكون بمعنى أن يدعو كما في حال الحياة إذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من سأله.

والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث من غيره ممن هو أعلا منه، وليس لها في قلوب المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بها أحد منهم سواه، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغاث الحقيقي، فهو تعالى مستغاث، والغوث منه خلقا وإيجادًا.

والنبي ﷺ مستغاث، والغوث منه تسببًا وكسبًا، ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق"، فقال رسول الله ﷺ: "إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله"[1]، لأن في سنده ابن لهيعة، والكلام فيه مشهور، وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].

عقيدة أهل السنة في نفي إسناد التأثير بالاستقلال أو المشاركة لغير الله تعالى:

ومن ثم يعلم أنه لا يوجد صوفي يعتقد إسناد التأثير بالخلق أو النفع أو الضر لغير الله تعالى، وأن مناط التوسل

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير عن عبادة بن الصامت وخرجه عنه الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري في "الرد المحكم المتين" ص٣٧، إتحاف الأذكياء ص٣٠.

(٢) سورة الأنفال/ ١٧.

بذوات الأنبياء والصالحين أنما هو التسبب فقط في النفع أو الضر بمقتضى ما منحه الله تعالى للوسيلة من جاه مقبول ودعاء متقبل من ذات النبي أو المؤمن التقي الذي تحققت له الولاية والقرب من الله تبارك وتعالى، ومن منطق الأدلة الشرعية التي سنقف بعد.

وبالوقوف على حقيقة التوسل عند السادة الصوفية وسالكي طريقهم ندرك بيقين مدى بشاعة جرم رميهم بالشرك والوثنية من خصومهم، وتشبيههم بعباد الأصنام الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[1]، فإن جمهور المتوسلين من الصوفية وغيرهم ما عبدوا إلا الله تعالى ولم يتقربوا إليه إلا بما أحب من الطاعات وبمن أحب في التنزيل والسنة المطهرة.

---

(١) سورة الزمر/ ٣.

الأدلة على جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالصالحين في حياتهم وبعدها:

تضافرت الأدلة القطعية- من القرآن الكريم والسنة المطهرة- المقررة لمشروعية وجواز التوسل- وما في معناه من التشفع والاستغاثة والتوجه- بذات النبي ﷺ وبجاهه وبركته قبل وأثناء وبعد حياته الدنيوية وبالدعاء منه بعد خلقه ﷺ، وكذا التوسل بأولياء الله الصالحين أثناء حياتهم الدنيا وبعد انتقالهم إلى الحياة البرزخية، والاستمداد من أنوارهم وبركاتهم مع التحقق بالتوحيد الكامل والاقتداء بالسلف الصالح.

• فأما الدليل على التوسل به ﷺ- قبل وجوده البشري في الدنيا- من القرآن الكريم، فهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا

عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

فقد روى الحافظ أبو نعيم- في دلائل النبوة- من طريق عطاء والضحاك عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كانت يهود بني قريظة والنضير- من قبل أن يبعث محمد- صلى الله عليه وآله وسلم يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا يقولون: اللَّهُمَّ إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا، فينتصرون، فلما جاءهم ما عرفوا- يريد محمدًا ﷺ ولم يشكوا فيه- كفروا به"[2].

---

(١) سورة البقرة/ ٨٩.

(٢) خرجه الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري عن أبي نعيم وقال: ولهذا الأثر طرق ذكرتها في "الرد المحكم المتين" ثم أورد نحو هذا الأثر من تفاسير: النيسابوري والكشاف والخازن والبغوي والنسفي والألوسي "انظر إتحاف الأذكياء ص١٠- ١١ طبعة عالم الكتب- بيروت".

ووجه دلالة الآية الكريمة على مشروعية التوسل بذاته ﷺ ظاهر لا لبس فيه، حيث أن الله تعالى أقر استفتاح اليهود به ﷺ، "والاستفتاح: طلب الفتح وهو النصر" ولم ينكره عليهم بل جاءت الروايات التفسيرية بإجابة استفتاحهم بالنصر ببركته ﷺ، وإنما ذمهم على كفرهم وجحودهم بعد إذ شاهدوا من بركة الاستفتاح به ﷺ ما لا ينكره إلا من في قلبه مرض والعياذ بالله تعالى [1].

• ثم نجد الدليل من السنة النبوية الشريفة على وقوع التوسل المشروع به ﷺ- قبل خلقه البشري- فيما رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين والطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول

---

(١) انظر النقل الرابع والأربعين في كتاب (صلح الإخوان" ص٣٩ والدليل الحادي عشر ص٤٧، وانظر إتحاف الأذكياء ص١٠- ١١.

الله ﷺ : "لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليه، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك" [1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥- واللفظ منه- وخرجه الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري في "الرد المحكم المتين ص١٣٩" عن الطبراني في الصغير والبيهقي في دلائل النبوة الذي قال فيه الذهبي: "عليك به فإنه كله هدى ونور" وعن أبي نعيم في الدلائل وابن عساكر في التاريخ، ثم تعقب الحافظ الغماري حكم الذهبي على هذا الحديث بالوضع بالرد العلمي والتفنيد القوي وأثبت- بالأصول العلمية الحديثية أن الحديث حسن لغيره، وأيده بحديث ميسرة الفجر وإسناده قوي من طريقة "نظر الرد المحكم المتين ص١٣٩".

• وأما الاستدلال على جواز وقوع التوسل بذات النبي الأكرم ﷺ وبدعائه وشفاعته في حال حياته الدنيا في القرآن الكريم فمن آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(1).

ذكر المفسرون في تفسيرها: أن الله تعالى لم ينزل العذاب بالكفار المذكورين لسببين:

أولهما: لوجود النبي ﷺ فيهم، فإن سيدنا محمدًا ﷺ ما دام حاضرًا معهم فإنه تعالى لا يعذبهم تعظيمًا له وحفظًا لحرمته، وقد أرسله الله رحمة للعالمين، وتلك كانت سنته تعالى مع جميع الأنبياء المتقدمين فإنه لا يعذب أهل قرية إلا بعد خروج رسولهم منها، كما كان في حق سيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا لوط عليهم السلام.

---

(1) سورة الأنفال/ ٣٣.

والسبب الثاني: أنه تعالى ما كان معذبهم وفيهم مؤمنون يستغفرون، أو: وفي علمه تعالى أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه، فإنه النطف المؤمنة التي في أصلابهم يدفع الله بها عنهم العذاب [1].

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة على جواز التوسل بذاته ﷺ: أنه إذا كان وجوده ﷺ بذاته الشريفة أمانا لأمته من العذاب [2]، فإن حصول الأمان والرحمة به ﷺ مع التوسل والتشفع به إلى الله تعالى يكون محققًا من باب أولى، ولا يقال ههنا: أن الأمان بدعائه لا ذاته ﷺ فإن الآية نزلت في شأن الكفار القائلين: ﴿وَإِذْ قَالُوا

---

(١) انظر أولًا مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٥/ ١٦٣ وتفسير روح البيان لسيدي إسماعيل حقي ٣/ ٣٤١- ٣٤٢ وانظر: صلح الإخوان لسيدي داود البغدادي النقشبندي ص٤٧.

(٢) روى الطبري في تفسيره (٩/ ٢٣٥) عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية الكريمة: (كان فيهم أمانان: نبي الله، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار).

﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وهؤلاء بمعزل عن الدعاء لهم، فضلا عن أن دلالة ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ واضحة الظهور في الذات.

• كذلك نجد الدليل من القرآن الكريم لجواز التوسل والتشفع بالنبي ﷺ وبدعائه واستغفاره في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

قال الإمام الآلوسي في تفسير هذه الآية الكريمة ... ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ وعرضوها للبوار بالنفاق والتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ على

(١) سورة النساء/ ٦٤.

إثر ظلمهم بلا ريث متوسلين بك [1] تائبين عن جنايتهم، غير جامعين حشفا وسوء كيلة باعتذارهم الباطن وأيمانهم الفاجرة ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه وندموا على ما فعلوا ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ وسأل الله تعالى أن يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم- وفي التعبير "استغفر" .. إلخ دون استغفرت، تفخيم لشأن رسول الله ﷺ حيث عدل عن خطابه إلى ما هو من عظيم صفاته، على طريق حكم الأمير بكذا مكان حكمت، وتعظيم لاستغفاره عليه الصلاة والسلام حيث أسنده إلى لفظ منبيء عن علو مرتبته.

---

(١) هذا تصريح من الإمام الآلوسي- خاتمة المفسرين العظام- بمشروعية التوسل خلافا لما نسب إليه من إنكاره، وسبب اللبس أن ابنه النعمان قد دس عليه في بعض كتبه ما يخالف اتجاهه الصوفي كما أخبرني بذلك العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ نجم الدين الكردي رضوان الله عليه، فالإمام الآلوسي شيخه سيدي خالد النقشبندي رضي الله عنه.

﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ أي: "لعلموه قابلًا لتوبتهم متفضلا عليهم بالتجاوز عما سلف من ذنوبهم"[1]، وأقول إن وجه دلالة هذه الآية الكريمة على جواز التوسل به حال حياته ﷺ والاستشفاع بدعائه، أنها وإن كانت نزلت شأن المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت إلا أن دلالتها عامة تشمل كل عاصٍ ومُقصر، لأن ظلم النفس المذكور فيها يشمل كل معصية[2].

وقد علق فيها جواب الشرط - وهو حصول ووجدان التوبة والرحمة من الله تعالى - على ثلاثة أمور وقعت في حيز الشرط وهي: مجيؤهم للنبي ﷺ واستغفارهم الله واستغفار الرسول لهم، فكان

---

(١) انظر تفسير الإمام الآلوسي: ٥/ ٧٠.

(٢) انظر اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء للعلامة المحدث عبد الله بن الصديق ص١٢.

استغفارهم الله تعالى مكتفيًا بأمرين مرتبطين به ﷺ المجيء والاستغفار من حضرته لهم، للإيذان بأنه ﷺ باب القبول وسبب حصول المأمول والوسيلة العظمى للوصول، وسيأتي إن شاء الله بيان الاستدلال بهذه الآية الكريمة على جواز التوسل به ﷺ بعد وفاته.

• وأما دليل التوسل والتوجه إلى الله تعالى بالنبي ﷺ من السنة النبوية الشريفة الصحيحة، فثمة أحاديث كثيرة؛ منها ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والإمام أحمد والطبراني - بإسناد صحيح - والحاكم بسنده على شرط الشيخين وأقره الذهبي: عن عثمان بن حنيف الله عنه أن رجلًا ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت أخرتُ ذلك وإن شئت دعوتُ، قال: فادعه.

قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين

ويدعو بهذا الدعاء: "اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه إلى ربك في حاجتي هذه فتقضيها لي، اللَّهُمَّ شفعه في وشفعني فيه" [1] وجاء في رواية الإمام أحمد في المسند بزيادة "قال: ففعل الرجل فأبصر".

ووجه دلالة هذا الحديث الشريف على التوسل بالنبي ﷺ وبدعائه في غاية الظهور، حيث أن الرسول ﷺ أمر الضرير أن يتوجه به إلى الله تعالى، أي بذريعته

---

(١) انظر سنن الترمذي "٥/ ٥٦٩ط الحلبي" والمستدرك للحاكم "١/ ٥١٩ط حيدر أباد الدكن" - واللفظ منه- مسند الإمام أحمد "٤/ ١٣٨" والفتح الرباني- وفيه تخريجه "١٤/ ٢٩٨" وقد أفاض العلامة المحدث أبو الفضل الغماري في بيان طرق هذا الحديث الشريف وَفَنَّدَ أي شبهة للطعن فيه وقال "وقد صححه الترمذي والطبراني وابن خزيمة والحاكم والبيهقي والمنذري والضياء المقدسي والنووي والذهبي وابن حجر والهيثمي وهؤلاء جهابذة الحديث ونقاده" "انظر الرد المحكم المتين ص١٦٥".

وسيلته والباء في قوله "أتوجه بك" للاستعانة [1] كما يمكن أن تكون للسببية على معنى: ليقضي الله حاجتي لأجلك.

ثم إن في قوله "يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي" التفاتا وتضرعا لديه ﷺ ليتوجه بروحه الشريفة إلى ربه عز وجل، وفيه الدلالة على مشروعية ندائه ﷺ والاستعانة به والطلب منه حال غيبته، لاسيما وأن ابن تيمية قد أقر صحة الحديث؛ بل وزاد في روايته-

---

(١) من هنا يجمع بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ للإمام ابن عباس- رضي الله عنهما- فيما رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم "انظر الفتح الكبير للنبهاني:٣/ ٤٠٠" من قوله "... إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله. "بأن الاستعانة بالله تعالى تكون على الحقيقة وبغيره تعالى تكون على طريق التسبب المشروع بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، وقوله تعالى حكاية عن ذي القرنين ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾... الخ.

في الفتاوى- أنه ﷺ قال للأعمى "وإن كان لك حاجة فمثل ذلك، فلو كان نداء الغائب المستغاث به- كما يزعم خصوم التصوف - شركًا لكان النبي ﷺ- وحاشاه- قد شرع لأمته الشرك، وهذا لا يقدم على القول به عاقل".

وسيأتي التدليل على تطبيق ما ورد به هذا الحديث الشريف من التوسل بحضرة النبي ﷺ بعد وفاته وتحقق نُجح المقاصد بهذا التوسل في السنة الشريفة.

- ومن أدلة السنة الشريفة على التوسل بذاته ودعائه ﷺ في حياته الدنيا، ما رواه البخاري عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب":

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب [1]، "والوجه هو الذات، وذكره في البيت دال على التوسل بذات النبي ﷺ" فوجه الدلالة فيه: استشهاد سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بشعر أبي طالب الذي أنشده لما كان قريش يستسقون بالنبي ﷺ لما كان رضيعا يحملونه بأيديهم عند الكعبة ويتوسلون بذاته فيستون كما ذكره أهل السير، وقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح نحو ذلك عن السهيلي [2].

وقال في شرحه لأحاديث الباب: "وأوضح من ذلك ما أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم الملائي عن أنس قال: جاء رجل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا

---

(١) انظر صحيح البخاري ١/ ٢٤- ٢٥ط حجازي.

(٢) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٢/ ٣٩٨ط البهية المصرية.

رسول الله، أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبي يغط، ثم أنشده شعرًا يقول فيه":

وليس لنا إلا إليك فرارنا

وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: "اللَّهُمَّ اسقنا ..." الحديث، وفيه: ثُمَّ قال: لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي فقال: رسول الله كأنك أردت قوله: "وأبيض يستسقى الغمام بوجهه .." الأبيات [1].

---

(١) أورده ابن حجر في الفتح "٢/ ٣٩٧" وعقبه بقوله "وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة" أي أنه يتقوى بغيره ويتعاضد بالصحيح، وانظر الحديث بكماله في دلائل النبوة للبيهقي بتحقيق د/ عبد المعطي قلعجي "٦/ ١٤١" وقد نقله ابن كثير في تفسيره "٦/ ٩٠- ٩١".

ومـن فقـه نَـصَّيِ الحـديثين الـشريفين يعلـم أن الصحابة ومن قبلهم عشيرته ﷺ كانوا يتوسلون بوجهه الأنور ﷺ ثم من بعد كانوا يستسقون في حياتـه أيـضا بدعائه المتقبل لحرمة ذاته عند الله تعالى.

الاستدلال على التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته:

وأما أدلة التوسل والتشفع به ﷺ بعد وفاته ولحاقة بالرفيق الأعلى- وهـو مـا يتـشدد الخـصوم في جحـده وإنكاره- فإنها أدلة عظيمـة الكـثرة قاطعـة الدلالـة لدرجة أنها تلزم منكريها على الخصوص أحد الأمرين: إما التسليم بها، وإما التعسف الجائر الذي قد يجرهم إلى التردي في مهاوي الشرك التي تصوروا فيها- بالجور والتعسف- أهـل التوحيـد الحقيقيـين وهـم الـصفوة الـصوفية، وتقريـر ذلـك، أن ابـن تيميـة وأتباعـه إذ يجيزون- على خـلاف بيـنهم- التوسـل بـدعاء الـحي

ويعدون التوسل به ﷺ وبغيره من الصالحين بعد الممات شركا[1].

نقول لهم: إن مذهب أهل السنة والجماعة يقر جواز التوسل والتشفع به ﷺ وكذا بغيره من الأنبياء والأولياء أحياءً وأمواتًا وجمهور الصوفية- باعتباره خاصة أهل السنة والجماعة- لا يعتقد تأثيرا بالخلق أو الضر أو النفع إلا الله وحده، فالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين لا تأثير لهم بالاستقلال عن الله تعالى نفعًا أو ضرًا وإنما يُتوسل ويُتبرك بهم باعتبارهم أسبابًا في إجابة الدعاء ونجح المقاصد لكونهم أحباء الله تعالى وهم بهذا الاعتبار- بانتفاء تأثيرهم الذاتي الاستقلالي- لا يشترط في التوسل بهم كونهم في هذه الحياة الدنيا، لأن حرمتهم وجاههم المقبول عند الله

(١) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (١٥٥ط) السلفية ومجموعة التوحيد ص٤٧٣.

تعالى لا ينقطعان بموتهم.

أما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات في جواز التوسل بهم:- كابن تيمية واضرابه- فإنهم بذلك الفرق ملزمون[1] باعتقاد التأثير للأحياء دون الأموات مذعنون لتأثير غير الله تعالى، وبذا يتسلل الإشراك إلى توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات، بينما يدين الصوفية اعتقادًا وعملًا بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[3] فبالله كيف تدعون أنهم أهل التوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراك؟؟[4].

---

(١) ضبط "ملزمون" هنا: بفتح الزاي بصيغة اسم المفعول: أي أنهم ألزموا أنفسهم ذلك.

(٢) سورة الزمر/ ٦٢.

(٣) سورة الصافات/ ٩٦.

(٤) انظر الدرر السنية في الرد على الوهابية للشيخ أحمد زيني دحلان ص٣٨ط، دار المدينة المنورة.

بعد هذا نثبت أدلة التوسل والتشفع بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين بعد الممات فيما يلي:

استدل الأئمة المثبتون للتوسل به ﷺ بعد وفاته من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

فهذه الآية الكريمة عامة الدلالة على مشروعية التوسل، فتشمل حالتي الحياة والوفاة، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل وهو مفقود ههنا.

وعموم الدلالة للحالتين مستفاد من وقوع الفعل: ﴿جَآءُوكَ﴾ في سياق الشرط، أو القاعدة المقررة في علم أصول الفقه، أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاما، لأن الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدرًا منكرًا، والنكرة في سياق النفي أو الشرط تكون

---

(١) سورة النساء/ ٦٤.

للعموم وضعًا، لكن السلفية المتأخرة والوهابيين يمنعون التوسل به ﷺ وبغيره من الصالحين بعد الوفاة متوهمين أن الموت يحول دون تحققه، وهو وهم كاذب وزعم باطل؛ لأن الأنبياء أحياء في قبورهم وكذا الأولياء لقوله تعالى في حق الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

ولا شك أن الأنبياء والأولياء أعلى رتبة وأفضل جهادًا من الشهداء، ولذا قدم ذكرهم عليهم في قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

هذا، وقد فهم الصحابة والسلف الصالح وجمهور المفسرين والمحدثين من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ

---

(١) سورة آل عمران/ ١٦٩.

(٢) سورة النساء/ ٦٩.

﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ...﴾ الخ، مشروعية التوسل به ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وأُثِرَت عنهم في التوسل به- بعد انتقاله- ﷺ روايات وآثار عديدة تنطق بتعاضدها واشتهارها على ألسنة العلماء الأثبات ومصنفاتهم بحقية هذا التوسل ومشروعيته بل والندب إليه واقتداء بسلفنا الصالح.

فمن ذلك، ما نقله العديد من الحفاظ والمحدثين والمفسرين ومنهم القسطلاني والسيوطي والقرطبي عن أبي سعيد السمعاني بسنده على سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال: "قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ، وحثا على رأسه من ترابه، فقال: قُلْتَ يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا منك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ...﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي، فنودي

من القبر أن قد غفر لك"[1].

ومثل هذا الأثر مروي عن الهلالي وعن العتبي وعن الأعرابي في "شعب الإيمان" للبيهقي و"مثير الغرام الساكن" لابن الجوزي وتاريخ ابن عساكر وغيرها[2]، ثم نجد من الحديث الشريف ما يدل على التوسل به ﷺ بعد وفاته، فقد روى البيهقي والطبراني في معجمه الكبير- بإسناد لا بأس به- عن عثمان بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجه، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته- أي لنسيانه لها كما سيأتي- فلقى

---

(١) انظر تخريج الأثر في: "الرد المحكم المتين" للمحدث الشيخ عبد الله ابن الصديق الغماري ص٤٥- ٤٦ و "إتحاف الأذكياء" له -أيضا- ص١٦ وانظر "تفسير القرطبي" ٥/ ٢٦٥ و "صلح الأخوان" ص٥٤ و"سعادة الدارين في الرد على الفرقتين" للسمهودي ١/ ١٧٧ و"الدرر السنية" للشيخ زيني دحلان ص٥٥.

(٢) انظر التخريج في "الرد المحكم المتين" للمحدث الغماري ص٤٤.

الرجل عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف:

ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين ثم قل: اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي- وتذكر حاجتك- رُحْ حتى أروحَ معك- فانطلق الرجل، فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة- أي الوسادة- فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كان الساعة!! وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكني شهدت رسول الله ﷺ

وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله: ليس لي قائد وقد شق علي فقال: ائت الميضأة فتوضأ وصلى ركعتين ثم قُل اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي عن بصري، اللَّهُمَّ شفعه في وشفعني في نفسي، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر!![1].

ففي هذا الحديث الشريف توسل به ونداء له ﷺ بعد وفاته، وقد ذكره البيهقي والطبراني والسبكي وابن حجر والسمهودي والقسطلاني وغيرهم وقالوا: "سنده لا بأس به"، فإن قال المنكرون إن في سنده مقالًا قلنا: إنه لو فرض ذلك لكان معاضدًا للحديث الأول- وقد كان

---

(١) خرج هذا الحديث بطرقه المحدث عبد الله بن الصديق الغماري في "الرد المحكم المتين ص١٤٧" وفي "إتحاف الأذكياء ص٣٣" واللفظ منهما- والشيخ داود البغدادي في "صلح الإخوان ص٥٠"، والسمنودي في "سعادة الدارين ١/ ١٨٣- ١٨٤".

صحيحًا- فيكون مؤيدًا.

ثم نقول للمعترضين: إن ما تضمنه من التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لو كان شركًا لما جاز للمحدثين والعلماء أن ينقلوه في كتبهم فضلا عن استدلالهم به كما فعل الحافظ ابن الجزري، إذ قال بعد أن أورده في "الحصن الحصين": "إن من آداب الدعاء أن يتوسل الداعي إلى الله تعالى بأنبيائه الصالحين من عباده، وأقره على ذلك الكثيرون كالعلامة القارئ في شرحه عليه"[1].

• ومن أدلة السنة النبوية أيضًا على جواز ووقوع التوسل بالنبي ﷺ من الصحابة بعد وفاته: ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة- بسند صحيح- عن مالك الدار - وكان خازن عمر رضى الله عنه- قال: "أصاب الناس قحط في زمان عمر رضى الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسقي لأمتك

---

(١) انظر المصدر الأخير للإمام السمنودي.

فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون" وقل له: عليك الكيسَ، الكيسَ فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وقال: "يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه" (١).

وقد عقب المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق على هذا الحديث بقوله: "إسناد هذا الأثر صحيح، ورأيت الحافظ - أي ابن حجر - عزاه في الفتح إلى ابن أبي شيبة عن طريق أبي صالح عن مالك الدار باللفظ المذكور وقال: سنده صحيح، والرجل: هو بلال بن حارث المزني أحد الصحابة كما رواه سيف في الفتوح (٢)، فهذا صحابي فعل - كما

---

(١) انظر التخريج في الرد "المحكم المتين ص٥٦ وإتحاف الأذكياء ص٣٤ وصلح الإخوان ص٥٠-٥١ ومحق التقول في مسألة التوسل الشيخ محمد زاهد الكوثري ص١٢ وفيه العزو إلى فتح الباري (٢/ ٣٣٨).

(٢) علق المحدث ابن الصديق على ذلك في "الإتحاف" بأن بعض المعاصرين طعن في رواية سيف بأنه متكلم فيه ثم قال: وهذا لا =

ترى- ما نفاه ابن تيمية نفيا باتًا، أفلا يحق بعد هذا أن نضرب بإطلاقه السابق عرض الحائط؟؟ ...".[1]

ومن العجيب حقًا أن ابن تيمية قد أقر هذا الحديث ولم ينكره، كما أقر سماع قوم رد السلام من قبر النبي ﷺ ومن قبور غيره من الصالحين، ومع ذلك فهو ينكر التوسل به ﷺ وبغيره بعد الوفاة!! إنه يقول في كتابه: "اقتضاء الصراط المستقيم" ما نصه: "ولا يدخل في هذا الباب- يعني باب التوسل والدعاء عند القبر- ما يروي من أن قومًا سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر[2] ليالي الحرة ونحو ذلك، فهذا كله حق ليس مما

= يضيرنا فإن الرجل إن لم يكن بلالا بن الحارث فهو يقينا إما صحابي أو تابعي وكفى بأحدهما حجة، ثم إن الحجة أصلا في إقرار سيدنا عمر رضي الله عنه له، حيث لم ينهه عما فعل.

(١) الرد المحكم المتين ص٥٦.

(٢) أي من قبر النبي ﷺ، وقد ذكر ذلك الذهبي في ترجمته في "سير أعلام النبلاء" ٤/ ٢٢٨.

نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم".

وكذلك أيضًا: ما يروي: "أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجدب عام الرمادة فرآه، وهو يأمره: أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس، فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبي ﷺ، وأعرف من هذه الوقائع كثيرًا"[1]!! فهل بعد إقرار ابن تيمية لصحة وحقيقة هذه الأدلة من تعليق؟؟

• ثم نجد أيضًا من أدلة السنة النبوية الشريفة على جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ما رواه الإمام الدارمي في سننه تحت ترجمة: "باب ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته": عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال: "قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية بتقديم ومراجعة أحمد حمدي إمام ص٣٧٢.

النبي ﷺ فاجعلوه منه كُوًى[1] إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا مطرًا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق"[2].

فانظر إلى منهج السلفية الحقة في فعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: فهذه أم المؤمنين السيدة عائشة- رضي الله عنها- أمرتهم أن يلجئوا إلى النبي ﷺ في قبره ويجعلوا من قبره الشريف كوى- أي نوافذ- إلى السماء مبالغة في التوسل والاستشفاع به ﷺ، ولا شك أنه كان بالمدينة إذ ذاك صحابة

---

(١) ضبط "كوى": بضم الكاف وفتح والواو- بوزن هدى- جمع كوة وهي الخرق في الحائط.

(٢) خرجه المحدث الغماري في "الرد المحكم المتين" ص٧٦، ١٩٧ عن الدارمي وقال: "ورجال هذا الأثر لا بأس بهم، وسعيد بن زيد- وإن كان متكلما فيه- فهو من رجال مسلم، وقد وثقه ابن معين وغيره" أهـ وكذلك: رواه ابن الجوزي في "الوفا بأحوال المصطفى ﷺ" في الباب التاسع والثلاثين تحت عنوان: "الاستسقاء بقبره ﷺ" بتحقيق د. مصطفى عبد الواحد ٢/٨٠١.

وتابعون ولم ينقل عن أحد منهم أنه أنكر ذلك، وقد أثبت الحافظ بن الجوزي هذا الأثر في "الوفا" مستدلا به على مشروعية الاستسقاء بقبره ﷺ، ومعلوم من هو ابن الجوزي في عالم المحدثين وفي محيط السلفية، إنه صاحب كتاب "الموضوعات" و "تلبيس إبليس" وكفى!!

ثم كيف ينكر التوسل بحضرته ﷺ بعد مماته وهو القائل "حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم".

إن هذا الحديث الشريف الذي رُوِيَ من نحو عشرين طريقًا- نص المحدث عبد الله بن الصديق على ما يزيد على ستة منها وذكر باقيها شقيقه الحافظ أحمد، ونص أساطين المحدثين على جودة إسناده- ليدل دلالة صريحة على أن النبي ﷺ يشفع لأمته بعد انتقاله

باستغفاره لهم من ذنوبهم التي تعرض عليه، وبحمده الله تعالى لما يراه من خير أعمالهم وهو في حياته البرزخية.

ومن ثم يجوز التوسل به ﷺ بعد الانتقال، لأننا لم نحجب عنه صلى الله عليه وإن غاب عن عامتنا، وكما نص الحديث الشريف على خيرية حياته لأمته كذلك نص على خيرية وفاته لنا فإن الخيرية والانتفاع والاستشفاع به لم ينقطع بانتقاله إلى الحياة الأخرى، فكيف ينكر التوسل به وهو في دار الحق وأعمالنا تعرض عليه ﷺ ؟؟

- وهذا دليل عملي للتوسل به ﷺ عند قبره الشريف يتحقق لثلاثة من أكابر علماء الحديث ويرويه ابن الجوزي "السلفي" والحافظ السخاوي عن أبي بكر المقري إذ قال في "مسند أصبهان": "وكنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في مدينة النبي ﷺ، فضاق بنا

الوقت، فواصلنا ذلك اليوم [1]، فلما كان وقت العشاء أتيت إلى القبر الشريف، وقلت يا رسول الله: الجوع الجوع!!

فقال الطبراني: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له، فإذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيء كثير، فقال: يا قوم شكوتم إلى النبي ﷺ، فإني رأيته فأمرني بحمل شيء إليكم" [2]!!

ومن العجيب أن ابن تيمية قد نقل في كتبه مثل هذا الأثر وأقر صحته ورفع اللوم عمن التجأ إلى النبي ﷺ، وطلب منه أمام قبره الشريف نوعًا من الأطعمة وأجيب دعاؤه، وذلك إذا كان مجتهدا أو مقلدا أو قاصرا في العلم، إذ قال في "اقتضاء الصراط المستقيم" ما

---

(١) أي وصلوا في الصوم، والوصال فيه: أن لا يفطر يومين أو أيامًا.

(٢) انظر "الوفا بأحوال المصطفى ﷺ" لابن الجوزي بتحقيق د/ مصطفى عبد الواحد ٢/ ٨٠٢ و"الرد المحكم المتين" ص٧٧.

نصه: "وكذلك حكي لنا أن بعض المجاورين بالمدينة جاء قبر النبي ﷺ فاشتهى عليه نوعًا من الأطعمة، فجاء بعض الهاشميين إليه، فقال: إن النبي ﷺ بعث إليك هذا، وقال لك: اخرج من عندنا، فإن من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا"[1].

وآخرون قضيت حوائجهم ولم يقل لهم مثل هذا، لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم، فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره كما يحكى عن برخ العابد الذي استسقى في بني إسرائيل[2]. فبالله كيف بعد هذا الإقرار والتقرير من ابن تيمية للتوسل به ﷺ والطلب منه وهو في قبره الشريف، وإجابته المتوسل،

(١) هذا القول من حضرته ﷺ تأديب وترق بهمة هذا الطالب المتوسل ليسمو بهمته عن مشتهيات النفس من الطعام والشراب المشتهى مع كونه محبوبا مقربا عنده ﷺ مجاب الدعوة.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص٣٤٩.

ورفع اللائمة عنه لاجتهاده أو لتقليده أو حتى لجهله، كيف يرمي هذا التوسل من أتباع ابن تيمية بـالكفر والشرك الأكبر؟؟ هذا لعمري في القياس بديع!!

دليل مشروعية التوسل بغير النبي ﷺ من الأولياء والصالحين أحياء ومنتقلين:

جاء في تصحيح السنة النبوية ما يدل صراحة على التوسل بغير النبي ﷺ من آل بيته والصالحين عامة، إذ روى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه كان إذا قحطـوا استـسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: "اللَّهُمَّ إنا كنـا نتوسـل إليك بنبينا فتسقينا، وإنـا نتوسـل إليـك بعـم نبينـا فاسقنا، قال فيسقون"[1].

---

(١) صحيح البخاري كتاب العيدين- أبواب الاستسقاء ١/ ١٢٥ط: حجازي.

فقد أفاد هذا الحديث الشريف جواز التوسل بالنبي ﷺ وبغيره من الأولياء والأحياء، وهو يدل على التوسل بالذات قبل الدعاء فإن ظاهر اللفظ في الحديث يدل على أن المتوسَّل به هو الذات، وإدعاء أن هناك مضافا محذوفا- على تقدير: بدعاء نبينا- محض تقول لا حجة له [١]، ولو كان المقصود الدعاء لم يكن لتخصيص سيدنا العباس فائدة؛ لأن في الصحابة آنذاك من هم أفضل منه كسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي، وإنما خص سيدنا العباس ذلك لقربه من ذات الرسول ﷺ فكان التوسل به أنجح في حصول المأمول [٢].

---

(١) انظر محق التقول في مسألة التوسل للشيخ محمد زاهد الكوثري "ص١١ط الأنوار".

(٢) انظر صلح الإخوان للشيخ داود البغدادي النقشبندي "ص٨٥ط/ نخبة الأخبار".

فإذا ما قيل: ولماذا عدل سيدنا عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بعمه العباس، ألا يفيد هذا العدول إنكار التوسل به ﷺ بعد وفاته؟

قلنا: إنما توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما لعدة أمور:

أحدها: أن صورة التوسل في هذه الواقعة- الاستسقاء- تقتضي أن يكون المتوسل به في الحياة الدنيا ليخرج بهم إلى المصلي ليباشر الاستسقاء بالصلاة والدعاء ونحو ذلك.

وثانيها: أن سيدنا العباس يتوافر فيه ثلاثة أمور ترتجي بها الإجابة، وهي قرابته من النبي ﷺ وصلاحه الشخصي "الذاتي" وأنه من جملة من يستسقي وينتفع بالسقيا، بينما النبي ﷺ لا يتوافر فيه عنصر الحاجة والانتفاع الشخصي.

وثالثها: وهذا بيت قصيدنا- بيان مشروعية التوسل بغير النبي ﷺ من آل بيته وصالحي أمته من الأولياء، وأن التوسل كما يكون بحضرته ﷺ وتحصل به الإجابة كذلك يكون بغيره؛ فلو قصروه على النبي ﷺ لَتُوُهِّمَ منه عدم جوازه بغيره كما يزعم طائفة من الخصوم [1].

ثم إن التوسل بسيدنا العباس رضي الله عنه متضمن للتوسل بسيدنا رسول الله ﷺ، كما يشعره قول سيدنا عمر "وانا نتوسل إليك بعم نبينا"، وكما يفهم من صيغة دعاء سيدنا العباس في هذه الواقعة، إذ خَرَّجَ الحافظ ابن حجر عن الزبير بن بكار- بإسناد له- أن العباس لما استسقى به عمر قال:

---

(١) انظر "إتحاف الأذكياء" للشيخ عبد الله بن الصديق ص٣٦ و"حقيقة التوسل على ضوء الكتاب والسنة" للشيخ موسى محمد علي "ص٥٤ط/ دار التراث العربي".

"اللَّهُمَّ إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس"[1].

ثم لقد عقب الحافظ ابن حجر شرحه للحديث المذكور باستنباط ما نحن بصدده من بيان جواز التوسل والاستشفاع بغير النبي ﷺ من الأولياء والصالحين لاسيما أهل بيت النبي ﷺ إذ قال: "ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه"[2].

---

(١) انظر "فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري" للحافظ ابن حجر العسقلاني "٢/ ٣٩٨ البهية المصرية".

(٢) انظر "فتح الباري بشرح الإمام البخاري" للحافظ ابن حجر العسقلاني "٢/ ٣٩٨ البهية المصرية".

• وأما ما يدل على جواز التوسل بغير النبي ﷺ من الأنبياء والأولياء بعد انتقالهم إلى الحياة الأخرى البرزخية: فمن ذلك ما أخرجه ابن ماجة في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: "اللَّهُمَّ إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك"[1].

---

(١) خرجه المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق في "الرد المحكم المتين ص١٧٧" عن ابن ماجه في سننه- واللفظ منه- "١/ ٢٥٦" وعن الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة وأبي نعيم الاصبهاني، ونقل عن ثلاثة من

ووجه الاستدلال بهـذا الحديث الشريف: أن النبي ﷺ يعلم أمته ويرغبهم في التوسل بحق أهل الصلاح والخير من المؤمنين السائلين له على سبيل العموم وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلون، ثم عامة المسلمين وخاصتهم أحياءً وأمواتًا، إذ لا شك أن حق أرباب الخير لا يبطل بموتهم بل يثبت ويتأكد لأن الدار الآخرة هي محل وفاء الله لعباده الصالحين بالحقوق التي التزامها لهم تفضلًا منه تعالى وتكرمًا كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فالمراد بالحق، ما يستحقه هؤلاء السائلون المتضرعون فضلًا من الله تعالى وكرمًا[2]، أو بمعنى

كبار الحفاظ أنه حديث حسن، وهم أبو الحسن القدسي شيخ الحافظ المنذري صاحب الترغيب والترهيب والحافظان العراقي وابن حجر.

(١) سورة الروم/ ٤٧.

(٢) انظر "الرد المحكم المتين" للشيخ عبد الله بن الصديق ص١٧٩.

آخر: هو ما جعل الله لهم من الحرمة عنده والكرامة عليه، أو أن الحق- كما نقل عن الشيخ ملا علي قاري- مصدر لا صفة مشبهة فيكون المعنى: بحقية نبيك والأنبياء، أي: بكونهم حقا لا بكونهم مستحقين، ومع كل: فإن الكلام في إطلاق اللفظ وليس في بيان المعنى وقد ثبت بالنصوص العديدة [1].

فإذا ما تمحل الخصم وقال: إن المراد في الحديث يئول إلى صفة من صفات الله تعالى- وهي فضله بإجابة من دعاه، قلنا: إن هذا لا يبطل الاستدلال المذكور قبل بل يؤيده، لأن معنى التوسل بالأولياء- الذي نثبته- هو سؤال الله تعالى بحقهم عليه وجاههم عنده، وكرامتهم لديه وهذا-التحقيق- راجع إلى التوسل بحب الله تعالى وإكرامه لهم، وذلك: يستوي فيه المولى الحي والميت؛ لأ[ن]

(١) انظر "سعادة الدارين في الرد على الفرقتين" للشيخ إبراهيم ١/ ١٥٨.

الله تعالى يحب أولياءه ويكرمهم جميعا ويكرم بهم أحبابهم، بل الولي بعد انتقاله إلى جوار الله تعالى أولى بذلك؛ لأنه في دار الجزاء[1].

ثم إذا تمحل الخصم مرة أخرى وقال: إن الباء في قوله "بحق السائلين عليك" للتعدية فتكون داخلة على المفعول لا على المتوسل به، قلنا إن إدخال الباء في أحد مفعولي السؤال إنما يكون في السؤال الاستعلامي كما في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[2].

وأما في السؤال الاستعطائي، فإن الباء لا تدخل فيه أصلًا إلا على المتوسل به كما هنا[3] لقد أثبت هذا الحديث الشريف أن من هدي النبوة التوسل

---

(١) انظر "الرد المحكم المتين" للشيخ الغماري ص١٧٩.

(٢) سورة المعارج/١.

(٣) انظر محق التقول في مسألة التوسل للشيخ محمد زاهد الكوثري ص١٦.

بالصالحين من عباد الله أحياءً وأمواتًا دون تفرقة؛ لأن الموت لا يضيع منازل الناس عند الله تعالى وقد قال تعالى مثبتا هذا الحق لمن اصطفى من أحبائه: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1].

ثم إننا نقول لمنكري التوسل بالأنبياء والأولياء بعد مماتهم خاصة: ما الحامل لكم على هذا الإنكار والتفرقة في التوسل بين الأحياء في هذه الدار والمنتقلين عنها إلى الحياة الآخرة؟؟

إن كان الدافع إلى إنكارهم هو افتقاد المتوسل به "المتوفى" للقدرة والتأثير اللذين يتمكن بهما من أداء ما يطلبه المتوسل؛ لأنه قد صار بالموت عدمًا وفناءً لا يحس ولا يدرك ولا يؤثر، فقد أخطأتم مرتين: مرة لإسنادكم القدرة والتأثير على الاستقلال للمتوسل به الحي- بدليل

---

(١) سورة ص/ آية ٢٥، وآية ٤٠.

تفرقتكم بينه وبين الميت- إذ لو كان التوسل شركًا لما جاز بالحي ولا بالميت، بينما يعتقد الصوفية إسناد التأثير والقدرة الذاتية لله تعالى وحده، والوسائل أسباب ينال بها تأثير وفعل المسبب سبحانه وتعالى.

ومرة أخرى أخطأتم لقصور نظركم واعتقادكم في الموت أنه عدم محض وفناء حائل بين الميت وبين إدراك عالم الأحياء في الدنيا، مع أن حياة الأموات كما تنطق شواهد الكتاب والسنة- أكمل وأتم من حياة أهل الدنيا، والأنبياء والشهداء لهم أوفى نصيب وأكمل قدر من تلك الحياة، بدليل قوله ﷺ: "مررت ليلة أسري بي على موسى قائمًا يصلي في قبره"[1].

وبدليل ما رواه الشيخان وأصحاب السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: اطلع النبي ﷺ على أهل

---

(١) أخرجه الأئمة أحمد ومسلم والنسائي عن سيدنا أنس رضي الله عنه "انظر فتح الكبير للنبهاني ٣/ ١٣٥".

القليب فقال: "وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فقيل له: أتدعو أمواتا؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون" (١)، وناهيك بحديث عرض الأعمال على الأقارب المتوفين ودعائهم لذويهم:

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا، اللَّهُمَّ لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا" (٢).

فبالله، إذا كان الأموات العاديون تعرض عليهم أعمال أقربائهم ويعرفونها ويفرحون لخيرها ويتوسلون بالدعاء لأصحاب سيئها دون أن يدري أحياء الدنيا بذلك فكيف

---

(١) انظر صحيح البخاري، باب الجنائز ١/ ١٦٥ط حجازي والفتح الرباني- وبه التخريج- "٨/ ١٧٦".
(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٣/ ١٦٥.

بأولياء الله الصالحين الذين قال تعالى في شأنهم: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[1]"

الاستدلال القرآني على تصرف الأولياء بعد الموت:

ثم لقد استدل الراسخون في العلم على تصرف الصالحين- بعد موتهم- في العالم الدنيوي من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[2] إذ ذكر الإمام البيضاوي المفسر من بين أوجه تفسيرها ما نصه:

"أو: صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنها تنزع من الأبدان غرقا- أي نزعًا شديدًا من إغراق النازع في القوس- وتنشط إلى عالم الملكوت وتسبح

---

(١) سورة الزمر/ ٣٤، وسورة الشورى/ ٢٢.

(٢) سورة النازعات/ ١- ٥.

فيها فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات"[1].

ثم يضيف العلامة الشهاب الخفاجي- تعليقا على هذا التفسير- مزيدًا من البيان فيقول: "يحتمل أن المراد بالمدبرات: الملائكة، وأن النفوس بعد الاستكمال ومفارقة البدن، ودخولها في الحظائر المقدسة تلتحق بالملائكة ولذا ألفت المقام الأعلى وصلحت للخلود".

أو هو صفة للنفوس المفارقة العالية، فإنها بقوتها وشرفها تصلح للوصف بأنها مدبرة، كما قال الإمام: إنها بعد المفارقة قد يظهر لها آثار وأحوال في هذا العالم، فقد يرى المرء أستاذه بعد موته فيرشده لما يهمه، وقد نقل عن جالينوس أنه مرض مرضا عجز عن علاجه الحكماء، فوصف له في منامه علاجه فأفاق

---

(١) انظر "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي ٢/ ٤٢٢ط الحلبي الأول.

وفعله فأفاق!! وقد ذكره الغزالي.

ولذا قيل: إذا تحيرتهم في الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور[1]- إلا أنه- ليس بحديث كما توهم- ولذا اتفق الناس على زيارة مشاهد السلف والتوسل بهم إلى الله، وإن أنكره بعض الملاحدة في عصرنا والمُشتكَى إليه هو الله[2].

فانظر كيف وصف العلامة الشهاب الخفاجي (المتوفي سنة ١٠٦٩هـ) هؤلاء المنكرين للتوسل

---

(١) نص عليه الشيخ العجلوني في "كشف الخفاء ١/ ٨٨ نشر دار التراث بالقاهرة". وقال: "كذا في الأربعين لابن كمال باشا". وأقول: إن معنى الأثر يتقوى بقوله تعالى في شأن الكفار: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال البيضاوي في تفسيرها ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم". انظر أنوار التنزيل "٢/ ٣٧٤" فالنص يفيد بمفهوم المخالفة أن المؤمنين ليس من شأنهم اليأس من أصحاب القبور أن ينالهم خير منهم، والأمر واضح لذوي العقول السليمة والقلوب الواعية.

(٢) انظر حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ٣١٣.

بالصالحين المتوفين بأنهم بإنكارهم هم كانوا ملاحدة العصر، واشتكاهم إلى الله تعالى!

ومن ثم نقول إن التوسل إلى الله تعالى بالصالحين من عباده- أنبياء وأولياء- بعد الانتقال إلى الحياة البرزخية أمر أقره الدين والشرع وفعله السلف الصالح، ولا يداخله أدنى إشراك، وإن اقترن بعبارات مجازية يفسرها الخصوم بأهوائهم.

فإذا ما خاطب المتوسل من توسل به نحو قوله: أغثني يا رسول الله، أو اشفني يا سيدي فلان، وافعل لي كذا وكذا.. فإن إسناد النفع والضر من المسلمين إلى غير الله إنما هو من قبيل إسناد الفعل إلى السبب، وهو ما يعرف في علوم البلاغة بالمجاز العقلي [1]، وهو متحقق بوفرة في نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى:

---

(١) انظر حاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ٣٦٣.

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ ﴾[1].

حيث أسند الارزاق ونحوه إلى المخلوقين مع أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

وكقوله ﷺ: "من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كُرَبِ يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه ..."[2]. إلخ حيث أسند التنفيس وكذا التيسير إلى العبد مع أنهما من خلقه تعالى، وكذلك إذا نظرت في قوله تعالى- حكاية قول سيدنا سليمان- على نبينا وعليه السلام لرسل بلقيس: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا

(١) انظر البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة للشيخ سلامة العزامي النقشبندي ص٣٨٤.

(٢) من حديث أخرجه الأئمة أحمد ومسلم والثلاثة سوى النسائي عن أبي هريرة كما خرجه النبهاني في الفتح الكبير ٣/ ٢٤٣.

ءَاتَىٰكُم﴾[1] وجدته أسند الإمداد بالمال إلى المخلوقين مع أن الممد على الحقيقة هو الله تعالى القائل: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾[2].

فما بالهم يُكَفِّرون من قال "مدد يا سيدي فلان، مع أن مقصود قائلها طلب التسبب في حصول المدد- وهو العطاء- بواسطة وتسبب المُمد السببي وهو النبي أو الولي من الممد الحقيقي وهو الله تعالى مالك النفع والضر وحده لا شريك له"!

فإن قيل: وما الحامل على التوسل بالنبي أو الولي في حصول ذلك المدد؟؟ قلنا، إنه توفر الصلاحية والأهلية للإجابة والتقبل في المتوسَّل به الذي هو أقرب إلى الله تعالى من المتوسِل، ومناط هذه الأهلية هو "التقوى" التي قُصِرَ تقبل الدعاء على من توفرت فيه حيث قال

---

(١) سورة النمل/ ٣٦.

(٢) سورة الإسراء/ ٢٠.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

فالتوسل باب عظيم من أبواب رحمة الله تعالى ولطفه بعباده، حيث لم يغلق باب رحمته دون المقصرين في طاعته، وإنما شرع لهم أن يلجوا باب القبول والرحمة والاستشفاع بالصالحين، والتوسل بهم إلى جناب رب العالمين، فإن الله يرحم بالصالحين والضعفاء غيرهم من العامة ويكشف عنهم بهم العذاب إذ قال ﷺ: "لولا عباد ركع وصبية رضع وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبًا ..."[2].

ثم إن التوسل أدب من آداب العبودية لله حيث إن المتوسل يرى نفسه على درجة من التقصير يخجل بها من أن يطلب من سيده- مع قلة زاده من التقوى- مباشرة، فيعمد إلى الصالحين من عباده، ولعله يجد في

---

(١) سورة المائدة/ ٢٧.

(٢) خرجه النبهاني في "الفتح الكبير ٣/ ٥٣" عن الطبراني والبيهقي.

رابطة الاستشفاع والتوسل من ائتلاف القلب بأهل الصلاح والولاية ما يجذبه إلى الانخراط في سلكهم والفوز بمعيتهم "والمرء يحشر مع من أحب"!!

وأخيرًا فإن التوسل بالنبي ﷺ وبسائر الأولياء والصالحين- في الحياتين- هو مسلك الفوز والفلاح لمن حقت له العناية الأزلية، إنه مسلك السلف الصالح والأئمة المجتهدين وأعلام الهدى والفقه والرسوخ في فهم الدين وحسبنا الإمام الشافعي- رضي الله عنه قدوة حجة وإماما في التوسل بآل البيت الأخيار إذ يقول:

آل النبي ذريعتي
وهمو إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا
بيدي اليمين صحيفتي [1]

---

(١) انظر الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة للإمام ابن حجر الهيثمي "ص١٨٠ط ونشر مكتبة القاهرة" والنقل عنه في=

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل محبتك وولايتك الفائزين بمحبة ومحبوبية حبيبك الأعظم سيدنا محمد ﷺ وآله وصحابته وأتباعه وورثته الأخيار المتوسلين بهم إلى حضرتك لنيل دوام مرضاتك والفوز بمعيتهم والحشر في زمرتهم يوم الدين آمين يا رب العالمين.

= سعادة الدارين ١/ ١٨٨، ونور الابصار للشيخ سيد الشبلنجي ص١١٦ط الأزهرية.

الشبهة الثالثة
حول الزيارة للأنبياء والأولياء والتبرك بهم وبآثارهم

يزعم خصوم الصوفية، أن قصد النبي ﷺ والأولياء الصالحين بالزيارة لقبورهم وشد الرحال إليها من الشرك أو مما يؤدي إليه وأنه يجب المنع من ذلك محافظة على التوحيد وامتثالا لحديث النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

وأن التبرك بالصالحين بشتى مظاهره من التمسح والتقبيل والطواف ونحوه إنما هو شرك وضلال وأن فاعل ذلك كعباد الأصنام [1].

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص٤٥٨ وانظر كمال الأمة في إصلاح عقيدتها لأبي بكر الجزائري ص١٥- ١٧- ١٨ وسائر الرسالة المذكورة: ط الأهلية بجدة، وانظر =

أدلة استحباب زيارته ﷺ وكذا آل البيت والصالحين:

وجوابًا على هذه الشبهة الآثمة التي تتضمن جملة شبهات- كسابقيها- نقول وبالله التوفيق: وإنه فيما يتعلق بموضوع الزيارة، فإن الأدلة المتضافرة من الكتاب والسنة قد قررت مشروعية واستحباب زيارة النبي الأعظم ﷺ في حياته الدنيا وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [1] إذ لا شك عند من آتاه الله مسكة من عقل وذوق في العلم أن من خرج لزيارة الرسول ﷺ يصدق

- صلح الإخوان لسيدي داود البغدادي ص١٤٣ وسعادة الدارين للشيخ السمنودي ١/ ١٠٧٢، ١٠٩ والدرر السنية للشيخ زيني دحلان: ص٨٦ط دار المدينة المنورة بالقاهرة.

(١) سورة النساء/ ١٠٠.

عليه أنه خرج مهاجرًا إلى الله ورسوله سواء كان في حياته الدنيا أم بعد وفاته لعموم دلالة الآية الكريمة ولإخباره ﷺ أن زيارته بعد وفاته كزيارته في حياته [1].

- ومن أدلة القرآن الكريم أيضًا على الندب إلى زيارته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [2].

---

(١) روى العقيلي عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال "من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي". روى سعيد ابن منصور عن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي"، كما روى نحوهما الحافظ سعيد بن محمد وابن عدي وغيرهما. انظر وفاء الوفاء للسمهودي ٤/ ١٣٤٠ وسعادة الدارين ١/ ٧٨ والتوسل والزيارة للشيخ محمد الفقي ص٤٨ الحلبي.

(٢) سورة النساء/ ٦٤.

حيث علق وجدانهم الله توابًا رحيما بمجيئهم- أي زيارتهم- للرسول ﷺ واستغفارهم الله واستغفار الرسول ﷺ لهم، فكانت الزيارة هي الركن الأول في إيجاب توبته تعالى ورحمته كما وعد سبحانه في هذه الآية الكريمة، لأنه سبحانه منزه عن خلف وعده، ولا يختص ذلك بحال حياته الدنيا صلوات الله وسلامه عليه، لما قدمناه من أن وقوع فعل المجيء في سياق الشرط يفيد العموم للحياتين الدنيوية والأخروية، والاستغفار منه ﷺ لأمته واقع في كل منهما بدليل حديث "حياتي خير لكم" وقد تقدم الاستدلال به في قضية التوسل.

- وأما الاستدلال من الحديث الشريف على استحباب زيارته ﷺ: فإن علماء السنة قد رووا وخَرَّجُوا في هذا الباب جملة وفراء من الأحاديث الكثيرة الشهيرة المتعاضدة البالغة حد التواتر المعنوي

وصحح الأئمة غالبها وتلقوه بالقبول، ونجتزيء هنا ببعضها: فمنها، ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني والدار قطني وغيرهم عن الإمام ابن عمر رضي الله عنه عن النبي أنه قال "من زار قبري وجبت له شفاعتي"[1].

ومنها ما رواه الدارقطني وابن عدي وغيرهما عن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "من حج فلم يزرني فقد جفاني"[2].

وروى الطبراني في معجمه الكبير عن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "من جاءني زائرًا لا تعلمه حاجة إلا زيارتي، كان حقا على

---

(١) انظر التخريج في سعادة الدارين للسمنودي ١/ ٧٧ ونقله تصحيح السبكي له وتحسين الذهبي.

(٢) نقل السمنودي في سعادة الدارين "١/ ٧٩" تخريجه عن المذكورين وغيرهما وتحسين العلامة ملا علي القاري له ونقله عن الإمام ابن حجر الهيثمي أن ابن عدي روى الحديث المذكور بسند يحتج به.

الله أن أكون شفيعًا له يوم القيامة"[1].

وأحاديث كثيرة لا نطيل بذكرها، وقد أفاض الإمام تقي الدين السبكي في عرضها وتخريجها ودفع شبه المنكرين في الاحتجاج بها وكذلك العلامة السمهودي في وفاء الوفاء.

والعجيب في هذه القضية أنه لم ينقل عن أحد من السلف ولا من عدول الخلف أي مجادلة في استحباب زيارة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ولم يؤثر أي نقاش في هذا الصدد حتى جاء ابن تيمية الذي زعم هو وأتباعه أن زيارة قبره ﷺ بدعة غير مشروعة، وأن السفر لها معصية لا تقصر فيه الصلاة! "سبحان الله" وأين تذهب بتلك الأدلة والنقول التي

---

(١) خرجه السمنودي في وفاء الوفاء ٤/ ١٣٤٠. ونقل تصحيح ابن السكن له وكذا الحافظ العراقي وانظر قضايا الوسيلة والقبول للشيخ محمد زكي إبراهيم ص١٣٧ طبع حسان.

سلم علماء الأمة بحجيتها ودلالتها على مشروعية هذه الزيارة وأنها من أعظم القربات؟؟ إنه خرق بشع لإجماع الأمة!!.

لقد نقل صاحب "زاد المسلم" تقريرًا رائعًا عن العلامة السمهودي في هذا الصدد إذ قال: "قال علامة دهره عالم المدينة ومؤرخها علي بن أحمد السمهودي في خلاصة الوفاء ما نصه: قال عياض: زيارة قبر رسول الله ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها، وأوضح السبكي أمر الإجماع على الزيارة قولًا وفعلًا، وسرد كلام الأئمة في ذلك- فليراجع- وبين أنها قربة بالسنة.

وقد سبق من السنة الخاصة بها ما فيه مقنع، وجاء في السنة الصحيحة المتفق عليها، الأمر بزيارة القبور، وقبره ﷺ سيد القبور فهو داخل في ذلك، وبالقياس على ما ثبت من زيارته لأهل البقيع

والشهداء، فقبره أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم، ولأننا لنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به، وفيه التبرك بذلك، وتأدية الحق، وتذكر الآخرة كما في زيارة غيره، وبالإجماع لما سبق، ولإجماع العلماء على زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي، بل: قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا في النساء، وامتاز القبر النبوي الشريف بالأدلة الخاصة به فيستثني من محل الخلاف بالنسبة إلى النساء كما أشار إليه السبكي والريمي وغيرهما"[1].

من ثَمَّ كان دأب سلفنا الصالح دوام زيارته ﷺ فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أراد سفرًا أو قدم من سفر جاء قبر النبي ﷺ فصلى عليه ودعا

---

(١) انظر زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بشرحه فتح المنعم للشيخ محمد حبيب الشنقطي ٢/ ٢٨ ط الحلبي.

ثم انصرف [١].

ثم ننتقل إلى بيان مشروعية زيارة قبور آل البيت وأولياء الله الصالحين، فنجد الحق تعالى قد حثنا على مودة آل البيت المحمدي رضوان الله عليهم أجمعين بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢]، والقربى هم: أقارب النبي ﷺ ولا سيما أهل بيته الأطهار.

ومن مودتهم، زيارتهم في الدنيا في حياتهم البرزخية في قبورهم والتودد إليهم والاستشفاع بهم إلى الله عز وجل فقد قال ﷺ: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"[٣].

---

(١) انظر موطأ الإمام مالك بتحقيق أستاذنا الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف: باب زيارة قبر النبي ﷺ وما يستحب من ذلك ص٣٣٤.

(٢) سورة الشورى/ ٢٣.

(٣) أخرجه الحافظ السيوطي- في الجامع الصغير ص٢٩١ط دار القلم بالقاهرة- عن البزار عن الإمامين ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، وعن الحاكم عن سيدنا أبي ذر ورمز له بالحسن.

وهل ينكر القرب من مراقد من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا إلا من حَلَّ رجس الضلالة والبدعة في قلوبهم؟؟

إنهم الامتداد النوراني لصفوة الله من خلقه، أفلا تكون أضرحتهم فراديس من أعالي الجنات تحفها الملائكة وتتنزل بها الرحمات؟؟.

وكذلك الأولياء المقربون الذين قال تعالى في شأنهم: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[1].

ونص القرآن الكريم على أنهم: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[2] وأن زيارتهم والتحبب إليهم من أعظم القربات إلى الله عز وجل، لأنها محبة في الله ولله وبالله عز وجل وموالاة عقدها الله بين المؤمنين

---

(١) سورة يونس/ ٦٤.

(٢) سورة الزمر/ ٣٤ والشورى/ ٢٢.

الصادقين إذ قال تعالى شأنه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[1]. وقال عز من قائل: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[2].

ومقياس صدق موالاة أولياء الله تعالى أن لا ننقطع عنهم بمفارقتهم هذه الدنيا بل نتمسك بزيارتهم والسلام عليهم والتبرك بهم فذلك من القرب المستحبة بلا نزاع عند أهل النور والإنصاف.

يقول الشيخ الإمام أبو عبد الله النعمان في كتابه "سفينة النجاء لأهل الالتجاء" ما نصه: تحقق لذوي البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا

---

(١) سورة التوبة/ ٧١.

(٢) سورة المائدة/ ٥٦.

المحققين من أئمة الدين، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الواسطة [1] بين الله تعالى وخلقه وقد تقرر في الشرع وعُلِمَ ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور، وما زال الناس من العلماء والأكابر- كابرًا من كابر- مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون ذلك حسا ومعنى [2].

إن المجادلين في مشروعية زيارة الأنبياء والأولياء يربطون بين الزيارة والتوسل في رميهم جمهرة الصوفية وعوام الموحدين بالشرك ويزعمون أن هؤلاء الزائرين يذهبون إلى قبور خاوية ليس فيها من يسمع ويحس ويدرك ويتمثلون بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [3].

---

(١) المراد أنهم أسباب لا تؤثر بذواتها بتسببها- بما لها عند الله من جاه ومنزلة- في نجح المقاصد.

(٢) انظر النص المذكور في سعادة الدارين للعلامة السمنودي ١/ ١١١.

(٣) سورة فاطر/ ٢٢.

ويطلقون على زوار الأولياء لقب "القبوريين" ويشبهونهم بعبدة الأصنام في توسلهم بهؤلاء الذين فارقوا الدنيا وانقطعت صلتهم بمن فيها!!

ومنشأ هذه الأحكام الجائرة عند هؤلاء- في حقيقة الأمر- هو الجهل الفاضح بحقائق الموت وبطبيعة الحياة البرزخية وبالصلة بين الحياتين الدنيوية والأخروية ثم بحقيقة التوحيد والعبادة مما أفضى إلى إساءة الظن بل والإفراط في الغلو في التكفير والتبديع على غير هدى.

وقد أوضحنا فيما سبق: أن عقيدة التوسل شيء والإشراك شيء آخر، بينهما بعد ما بين المشرقين، وأن الحياة البرزخية ليست عدمًا بل هي أمر وجودي أرقى حيوية واتساعا وإطلاقا من هذه الحياة.

وقد أجاب الحافظ ابن رجب الحنبلي عن

استشكال معارضة ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ للأحاديث القاطعة بحياة الموتى وإدراكهم وسماعهم تسليم المسلم عليهم: بأن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضًا: الانتفاع به والاستجابة له والمراد به في الآية الثاني دون الأول، لأن الآية في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدي والإيمان إذا دعُوا إليه[1].

انتفاع الزائرين بزيارة الموتى لاسيما أهل القرب والنور وكلام العلماء في ذلك:

أما كيف ينتفع زوار الأنبياء والصالحين بزيارتهم ويصلهم منهم الإمداد الروحي وتحل بهم البركات- دون كفر أو إشراك- فسأترك ذلك من لا يتهم في

(١) انظر هذا الجواب مع أجوبة أخرى عن شبهات المحتجين بالآية الكريمة ونظيرها لنفي سماع الموتى وإدراكهم لزائريهم في "الرد المحكم المتين للشيخ الغماري ص٢٣٦".

دينه أو علمه من أساطين علماء التفسير والعقيدة في الأمة، وعسى أن يكون في تبيانهم مقنع وبلاغ:

تقرير الإمام الفخر الرازي:

يقول الإمام فخر الدين الرازي في كتابه " المطالب العاليـة"- الفـصل الثـامن عـشر في بيـان: كيفيـة الانتفاع بزيارة الموتى والقبور "لاسـيما أهـل القـرب والنور": "... للكلام فيه مقدمات:

- المقدمـة الأولى: أنـا قـد دللنـا على أن النفـوس البشرية باقية من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه، وهذه النفوس أقوى من تلك من بعض الوجوه.

أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه: فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبـدانها فقد زال الغطاء وانكشف لها عالـم الغيـب وأسرار منازل الآخرة، وصارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقـة الأبـدان، لأن

النفوس في الأبدان كانت في عنـاء وغطـاء، ولما زال البدن أشرقت تلك النفوس وتجلت وتلألأت فحصل بهذا الطريق نوع من الكمال.

وأما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفـوس المفارقـة- مـن وجـه آخـر.... فـلأن آلات الكسب والطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفـكار المتلاحقة والأنظار المتتالية، وتستفيد كل يـوم علمـا جديدًا، وهذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة.

- والمقدمة الثانية : أن تعلق النفـوس بأبـدانها تعلق يشبه العشق الشديد والحب التام ولهذا السبب: كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيـا فإنمـا تطلبـه لتتوصل به إلى إيصال الخير والراحة لهذا البدن، فـإذا مات الإنسان وفارقت النفس هذا البدن: فذلك الميل يبقى وذلك العـشق لا يـزول، وتـبقى تلـك النفـوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، عظيمة الانجذاب - على

المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات، وأنها موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها - إذا عرفت هذه المقدمات فنقول:

إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر، شديد التأثير ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من هذه التربة- وقد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا - فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى.

فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة مع الخضوع والرضا بقضاء الله ينعكس فيه نور إلى روح ذلك الميت وكل ما حصل في نفس ذلك

الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس فيه نور إلى روح هذا الزائر الحي.

وبهذا الطريق تكون تلك الزيارة سببًا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، وهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة!!

ولا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى [1] أدق وأغمض مما ذكرناه وتمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله تعالى [2] أ.هـ

وهذا إمام آخر يدلي بدلوه في مسألة انتفاع الأحياء في هذه الدار بزيارة قبور من مات من الأخيار، إنه العلامة المحقق سعد الدين التفتازاني يقول في شرح

---

(١) هذه الأسرار الكبرى المشار إليها هي التي تحصل من زيارة الخواص من الأنبياء فضلا عما يحصل بزيارة من دونهم مما ذكر لعامة الصالحين.

(٢) انظر هذا النص في "محق التقول في مسألة التوسل" للشيخ محمد زاهد الكوثري: ٧ – ٨ .

المقاصد: لما كان إدراك الجزئيات مشروطًا عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات، فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات - ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط - وعندنا، لما لم تكن الآلات شرطًا في إدراك الجزئيات، إما لأنه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحس، وإما لأنه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئي في النفس، بل الظاهر من قواعد الإسلام: أنه يكون للنفس - بعد المفارقة - إدراكات جزئية، واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء لاسيما الذين كان بين الميت وبينهم تعارف في الدنيا.

ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقًا ما بالبدن، وبالتربة التي دفن فيها، فإذا زار الحي تلك التربة،

وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت: حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات [1] أ.هـ

تقرير الشريف الجرجاني لاستفاضة الأنوار بزيارة مراقد الأخيار.

وهذا علامة ثالث في المعقول والمنقول وهو الإمام السيد الشريف الجرجاني يقول في أوائل حاشيته على المطالع عند بيان الشارح وجه الصلاة على النبي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام في أوائل الكتب ووجه الحاجة إلى التوسل بهم في الاستفاضة.

"فإن قيل: هذا التوسل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان، واما إذا تجردوا عنها فلا؛ إذ لا جهة مقتضية للمناسبة، قلنا: يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية، فإن أثر ذلك باق فيهم، ولذلك: كانت

---

(١) انظر نفس المرجع ص ٨.

زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر "[1] أ.هـ.

إبطال احتجاج المنكرين للسفر للزيارة بحديث شد الرحال:

ثم نأتي إلى بيان وجه الحق في معنى الحديث الشريف الذي رواه الشيخان عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى "[2].

إن المنتسبين إلى السلف من خصوم الصوفية يستدلون بهذا الحديث على تحريم السفر لزيارة مشاهد أضرحة آل بيت النبي ﷺ وسائر الأولياء فضلا عن زيارة سيد الأنبياء والمرسلين صلوات اله وسلامه

---

(١) انظر نفس المرجع ص ٩.

(٢) انظر زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بشرحه فتح المنعم للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي: ٥ / ٢١٢ – ٢١٥ ط الحلبي.

عليه وعليهم أجمعين، ويرمون جماهير المسلمين الذين يرتحلون لزيارتها إما بالشرك والوثنية - كما يفعل غلاتهم ومتعصبوهم - وإما بالمعصية والبدعة كما يزعم سائرهم، ويطلقون على هؤلاء الزائرين المتبركين الموحدين لقب "القبوريين" !! وهؤلاء المعترضون مخطئون أبشع الخطأ في فهمهم لهذا الحديث من جملة وجوه:

أولها: أنهم قدروا المستثنى منه - المحذوف - في الحديث عاما على معنى: لا تشد الرحال إلى شيء من الأماكن أصلا في أي أمر من الأمور إلا إلى ثلاثة مساجد.

وليس الأمر كما زعموا وإلا، لاقتضى ذلك تحريم شد الرحال للجهاد والهجرة من دار الكفر وطلب العلم والتجارة وزيارة الأهل والإخوان وغير ذلك، وهذا لا يقول به عاقل فضلا عن مسلم عالم بدينه.

وإنما يقدر المستثنى منه – في الحديث الشريف – تقديرًا خاصًا، مناسبًا للمستثنى معنى ووضعًا، فيكون المعنى لا تشد الرحال إلى مسجد تعبدًا فيه وتعظيمًا له وابتغاء التقرب إلى الله تعالى بالصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة، فإنها هي التي تشد الرحال إليها لذلك "بقرينة التعبير بالمساجد" فإن لفظها مشعر بالصلاة.

وتوجيه ذلك علميًا أيضًا: أن الاستثناء في الحديث الشريف مفرغ والمقدر في هذا النوع من الاستثناء يكون مناسبًا للمستثنى منه في المعنى والوضع، وعليه يكون الاستثناء متصلا لا منقطعًا وهو الأصل ثم إنه قد ورد تقدير المستثنى منه على نحو ما ذكرنا في حديث حسن رواه الإمام أحمد وأبو يعلى، وابن خزيمة والطبراني والضياء وهو قوله ﷺ: "لا تشد رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد..."[1]، إلخ. فالحديث الشريف يفسر بعضه بعضا.

---

(١) انظر التخريج والتوجيه في سعادة الدارين للعلامة السمنودي ١/ ١٢٠ – ١٢١.

وثانيًا: أن النفي قوله "لاتشد" ليس للنهي التحريمي وإنما هو لبيان أفضلية المساجد الثلاثة على غيرها لا غير، وقيل، إنه لمجرد الإخبار لا النهي ومن ثم: فإنه لا يحرم شد الرحال حتى إلا غيرها من المساجد بدليل ما روي في الصحيح عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكبًا ماشيًا فيصلي فيه ركعتين"[1]– وفي رواية– "كان يأتيه كل سبت"[2].

وثالثا: إن تخصيص المساجد الثلاثة – المذكورة في الحديث الشريف بأفضلية شد الرحال إليها راجع إلى

---

(١) اخرجه السمنودي في المرجع السابق ١ / ١٢٢ عن الشيخين وخرج الزركشي نحوه – بالرواية اليت فيها "كان يأتيه كل سبت" عن الإمام مسلم في باب فضل مسجد قباء حديث :١٠١٦".

(٢) خرجه السمنودي في المرجع السابق ١ / ١٢٢ عن الشيخين وخرج الزركشي نحوه – بالرواية التي فيها "كان يأتيه كل سبت" عن الإمام مسلم في باب فضل مسجد قباء حديث: ١٠١٦".

أمور ثلاثة، أحدها، لكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ قال صاحب "زاد المسلم":

"واستثنيت الثلاثة مساجد لفضلها وفضل الصلاة بها وكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[1]، ومن ثم: يكون لذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مدخل في أفضلية المساجد الثلاثة وشد الرحال إليها بما يدحض دعوى الصوم بحجتهم !!.

مشروعية التبرك بالأنبياء والأولياء وتفنيد دعاوي المنكرين لذلك:

حينما نعمد إلى مناقشة قضية التبرك – بعد ما تبين لنا في موضوع التوسل من وجه الحق – نجد فداحة جرم خصوم التصوف في رميهم للمتصوفة بالشك وعبادة الجيب والطاغوت لا حدود لها، فأن أمر التبرك في جوهره

---

(١) زاد المسلم للشيخ محمد الشنقيطي ٥ / ٢١٣ .

لا يخرج عن التماس البركة – وهي كثرة الخير والنفع – ممن جعلها الله فيه أو مما وضعت فيه بتقدير الله تعالى وتأثيره على التوحد والانفراد، وهذا أمر مقرر في الكتاب والسنة، فقد أثبت القرآن الكريم بركة للذوات "الأشخاص الفاضلة" وبركة للآثار – التابعة للذوات المباركة – وبركة للأماكن والبقاع التي خصها الله تعالى بمزيد الخيرية.

فيشهد للنوع الأول قوله تعالى حكاية عن سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[2].

ويشهد للنوع الثاني قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ

---

(١) سورة مريم: ٣١ .

(٢) سورة هود: ٧٣.

نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾[1].

وقد فسر الإمام البيضاوي هذه البقية بأنها: "رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون"، وقال في تفسير قوله: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: "قيل: رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهو ينظرون إليه. وقيل: كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به[2] حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه"[3].

كما يشهد للتبرك بالآثار في التنزيل قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف على نبينا وعليه السلام: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٨.

(٢) المراد بقوله تعالى: (يستفتحون به) أي يتوسلون به في الفتح وهو النصر فينصرون ببركته.

(٣) انظر تفسير البيضاوي ١ / ٥٥ ط. الحلبي الثانية.

بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

فانظر كيف أمر سيدنا يوسف على نبينا وعليه السلام إخوته بإلقاء أثره المبارك وهو القميص على وجه أبيه نبي الله يعقوب على نبينا وعليه السلام الذي أبيضت عيناه من الحزن فلما ألقاه على وجهه ارتد بصيرًا ولم يرم أحد سيدنا يوسف ولا سيدنا يعقوب بالإشراك ولا بعبادة القميص واتخاذه وثنًا !! يا قوم تدبروا كتاب الله ترشدوا ولا تضلوا بأهوائكم !!

---

(١) سورة يوسف: ٩٣ – ٩٦.

ثم يشهد لبركة الأماكن والبقاع قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾[2].

وأما الاستدلال من السنة النبوية الشريفة لمشروعية التبرك بمظاهره العديدة: فإننا نجد من الأحاديث الشريفة المحتج بها عند الثقات ما يبدد شبهات الخصوم في التبرك، ويؤكد أن الصوفية يسيرون على منهاج السنة المحمدية تحققا، ويسلكون المسلك السلفي الحقيقي - لا الادعائي - فإن النبي ﷺ هو الذي شرع التبرك لأمته وأقر أصحابه عليه بشتى مظاهره التي ترسخ التوحد في القلب ولا تبدده، فلقد روي

---

(١) سورة آل عمران: ٩٦ .

(٢) سورة الإسراء: ١ .

البخاري وغيره أن النبي ﷺ جاء سقاية العباس ليشرب من السقاية، فأمر العباس ابنه عبد الله أن يأتي للنبي ﷺ بماء آخر من الدار غير ما يشرب منه الناس، لأنه استقذره، وقال يا رسول الله: هذا تمسه الأيدي، نأتيك بما غيره، فقال: "لا. إنما أريد بركة المسلمين وما مسته أيديهم"[1].

فانظر كيف كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يتبرك بما مسته أيدي المسلمين باعتبار أن المسلم فيه نور وبركة. والله تعالى هو خالق النور والبركة فكيف يعتبر التبرك شركا؟! ولقد كان النبي ﷺ يبارك بذاته الشريفة وبآثاره خواص أقربائه وأحبائه من صحابته الأطهار.

---

(١) خرجه عن البخاري العلامة السمنودي في سعادة الدارين ٢/ ٢٥ - ٢٦ وانظر الحديث في صحيح البخاري ١ / ١٩٦ - ١٩٧ ط حجازي ومسند الإمام أحمد ١ / ٢١٤ - ٢١٥ .

فقد روى الطبراني – في الكبير والأوسط – عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد – أم علي رضي الله عنها – دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: "رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة".

ثم أمر أن تغسل – ثلاثا ثلاثا – فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببردة فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري أو عمر بن الخطاب، وغلاما أسود يحفرون، فحفروا قبرهما، فلما بلغ اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل فيه رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال:

"الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اللَّهُمَّ اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فأنك أرحم الراحمين" وكبر عليها وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[1].

فهذا هو التبرك والتوسل مجسدًا في فعل النبي ﷺ مع زوج عمه التي ربته وكانت له أما بعد أمه رضي الله عنهما وعنا بهما آمين.

وانظر في صحيح البخاري – كتاب الوضوء – تجده يروي عن سيدنا أنس رضي الله عنه أنه قال:

---

(١)خرجه المحدث الشيخ عبد الله الغماري في: " الرد المحكم المتين: ص ١٩٣ – ١٩٤" ونقل عن الحافظ الهيثمي أنه قال في هذا الحديث: "رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف" وعليه: فالحديث على رأي ابن حبان والحاكم لأنه على شرطهما، وعلى قول من ضعف روحًا فإنه أقوى من كثير من الأحاديث الضعيفة التي احتج بها الأئمة في الأحكام.

رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء – فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم"[1].

فبالله لماذا وضع الرسول الكريم ﷺ يده في الإناء؟! ولماذا تكاثر الماء بعد وضعها !! أليست بركته الشريفة وقد حلت في قليل من الماء فباركه الله وكثر !!.

وانظر في نفس المصدر الصحيح نجد البخاري يروي عن ابن سيرين أنه قال لعبيدة: عندنا من شَعر[2] النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس – أو من قِبَل أهل أنس – فقال: "لأن يكون عندي شعرة منه

---

(١) انظر صحيح البخاري ١ / ١٣٦ إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / ط ثانية.

(٢) ضبط "شعر" بفتح الشين حتى لا يسبق الوهم إلى كسرها.

أحب إليّ من الدنيا وما فيها"[1].

هذه هي روح السلف الصالح تجاه النبي ﷺ والتبرك به وبآثاره، لقد كانوا يتبركون بشعره الشريف حتى كانوا يرصدون أول من يأخذ منه أول ما يحلق رأسه ﷺ، فقد روي البخاري عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه، كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره[2].

وفي الصحيحين عن أم سليم "أنها فتحت عتيدتها – أي صندوقها الصغير – فجعلت تنشف فيه عرقه ﷺ فتعصره في قواريها فقال ﷺ لما استيقظ من نومه: "ما تصنعين يا أم سليم"، فقالت: يا رسول الله أجو بركته لصبياننا، فقال، "أصبت"[3].

---

(١) انظر صحيح البخاري ١ / ١٣٧ ط: المجلس الأعلى.

(٢) انظر صحيح البخاري ١ / ١٣٧ ط: المجلس الأعلى.

(٣) اخرجه عن الشيخين الشيخ داود في صلح الأخوان، وقال: رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه.

التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته:

ولم ينقطع التبرك به ﷺ بوفاته بل ظل الصحابة يتبركون بقبره الشريف وبآثاره. فقد روي الحافظ ابن الجوزي – السلفي – في الوفا بسنده إلى سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لما مات رسول الله ﷺ ودفن جاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينيها وبكت وأنشدت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد

ضُبث علىّ مصائب لو أنها

أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على الأيام عدن لياليا (١)

---

(١) انظر الوفا بأحوال المصطفى ﷺ لابن الجوزي ٢/ ٨٠٣ وصلح الإخوان ١/ ٥٧ .

وأخرج ابن عساكر – بسند جيد – عن أبي الدرداء قصة نزول بلال بداريّا بعد فتح بيت المقدس، قال: ثم إن بلالا رأي النبي ﷺ وهو يقول له: "ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورنا"، فانتبه حزينا خائفا فركب راحلته، وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه على القبر .. إلى آخر القصة، وكان ذلك بحضور الصحابة فلم ينكر عليه أحد"[1] أ.هـ.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه على الصحيحين قالا: أقبل مروان يومًا فوجد رجلاً واضعا جبهته على القبر فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل – عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري رضي

---

(١) انظر صلح الإخوان ص ٥٧ وفيه التخريج عن السبكي في شفاء السقام والقسطلاني وابن حجر وغيرهم وانظر سعادة الدارين للسمنودي ٢/ ٦٢.

الله عنه فقال: جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غير أهله" أ. هـ[1].

• وثبت أن الإمام ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على القبر الشريف وأنه كان يلتمس بيده رمانة منبره ﷺ ويمسح بها وجهه الشريف[2].

والعجيب أن ابن تيمية يصرح بترخيص الإمام أحمد بن حنبل وغيره في التمسح بالمنبر، إذا قال في اقتضاء الصراط المستقيم "فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع معقد النبي ﷺ ويده"[3].

---

(١) انظر المسند للإمام أحمد ٥/ ٤٢٢ وصلح الإخوان ص ٥٦ .

(٢) انظر سعاد الدارين ٢/ ص ٦٠ .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٦٦.

فتوى الإمام أحمد بجواز تقبيل القبر النبوي الشريف:

لقد نقل عن العلامة المقري المكي في "فتح المتعال بصفة النعال" نقلاً عن ولي الدين العراقي أنه قال: أخبرني الحافظ أبو سعيد بن العلا قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل – في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ – إن الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك!! قال: فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك، ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل هذا كلامه، أو معنى كلامه، وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصًا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به !!

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟!! "ذكره الشيخ داود في صلح الإخوان ص ٨١".

وقد صنف العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رسالة لطيفة في هذا الباب عنوانها "إعلام النبيل بجواز التقبيل" قال فيها: "أما تقبيل غير الأعضاء: فقد تقدم أن أبا العالية قبل تفاحة تبركًا بمسها لكف أنس رضي الله عنه وأجاز أحمد تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجاز ابن أبي الصيف والمحب الطبري: تقبيل قبور الصالحين"[1].

هذه هي سماحة الإسلام بلا ابتداع ولا هوى، إباحة ما أحله الله وتحريم ما حرم بلا شطط أو غلو أو احتكار للحكم في دين الله بالتعصب المذهبي. فلماذا نحيد عن سماحة الإسلام إلى الغلو فيه ؟؟ وإخراج أهله منه أكبر عند الله !!.

---

(١) انظر إعلام النبيل بجواز التقبيل لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق ص٢٢ ط العهد الجديد، الثانية، والرد المحكم المتين ص ٢٧٣.

لقد قال أحد الإثبات الفقهين بدين الله في سماحة ويسر وهو العلامة السَّمَنُّودي في هذا الباب من كتابه "سعادة الدارين" ما نصه: "فقد صرح غير واحد من الأئمة هداة الأمة بإباحة التمسح بقبور الصالحين وتقبيلها وتمريغ الخد عليها وتقبيل أعتابها بقصد التبرك، ومنع من ذلك بعضهم، لكنه قال بالكراهة لا بالحرمة فضلا عن التفكير"[1].

سيقول الخصماء: إن الشيخ السمنودي وأمثاله من المتصوفة الذين لا يحتج به عندهم، مع أنه يحتكم في كتابه القيم إلى الأدلة النقلية والعقلية الصريحة.

ونقول لهم فما تقولون فيما قرره العديد من الفقهاء شيوخ الإسلام كالإمام الباجوري والعلامة الرملي والفقيه البجيرمي ونحوهم ممن تربى على أيديهم

---

(١) انظر سعادة الدارين في الرد على الفرقين ٢ / ٥٩

ألوف العلماء وعلى كتبهم من لا يحصون عددًا من علماء الأمة ومتفقهيها ؟؟

فتاوي الفقهاء بجواز التقبيل للتبرك:

لقد قال الإمام شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري في حاشيته على شرح ابن قاسم في فقه الشافعية "وهذه الحاشية لا تزال تدرس للآن في المعاهد الأزهرية" ما نصه: "ويكره تقبيل القبر واستلامه ومثله التابوت الذي يجعل فوقه وكذا تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء إلا إن قصد به التبرك بهم فلا يكره". (١)

وقال الشيخ العلامة سليمان البجيرمي في حاشيته "تحفة الحبيب على شرح الخطيب" تعليقا على قول

---

(١) انظر حاشية البيجوري على شرح ابن قاسم ١ / ٢٦٥ ط الحلبي سنة ١٣٤٣ هـ وانظر ايضًا نص العلامة شمس الدين الرملي على جواز تقبيل الأعتاب وفتوى والده الشهاب الرملي بذلك في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٣ / ٣٤ .

الشارح في كتاب الصلاة: "ومما يحرم ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ ولو إلى القبلة".

قال: "هل مثله ما يقع لبعضهم من الانحناء إلى حد الركوع أو ما زاد عليه بحيث يقرب إلى السجود أولا؟ فيه نظر. ولا يبعد أنه مثله، وأما تقبيل أعتاب المشايخ فمستحب لا بأس به"[1].

---

(١) انظر تحفة الحبيب على شرح الخطيب للعلامة الشيخ سليمان البجيرمي الشافعي ١ / ٣٦٨ ط الحلبي.

الشبهة الرابعة
حول الصلاة في المساجد التي بها أضرحة

إبطال الاحتجاج للتحريم بحديث: (لعن الله اليهود والنصارى ... إلخ):

إن كثيرًا من الأحاديث الشريفة حرفها أهل البدع عن مواضعها ولووا احكامها بما يوافق مذاهبهم ومن ذلك: تحريم خصوم التصوف للصلاة بالمساجد التي بها أضرحة مستدلين بقوله ﷺ: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" [1].

ونقول: لهم إن اللعن في الحديث منصب على اليهود والنصارى وقد كان ذلك على إثر ذكر السيدة أم

(١) رواه الشيخان عن السيدة عائشة رضي الله عنها انظر زاد المسلم ٢ / ٣٣ - ٢٤.

سلمة رضي الله عنها للنبي ﷺ ما رأته بأرض الحبشة من كنيسة تبعد بها الصور فقال ﷺ:

"أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروًا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله".

فوجه الحق في فهم هذا الحديث أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبدون فيها تلك القبور ويسجدون إليها أو يجعلونها قبلة، لاتخاذهم الأنبياء شركاء مع الله تعالى فيما يستحقه من العبادة.

أما من أقام مسجدًا بجوار رجل صالح بقصد التبرك منه فإنه لا يدخل في وعيد الحديث المذكور لأن المسجد هو مكان السجود أي محل وضع أعضاء السجود السبعة فوقه وهذا لا يفعل بقبر مطلقًا في بلاد المسلمين.

يقول الإمام البيضاوي - فيما نقله عنه الحافظ ابن

حجر في شرح هذا الحديث من فتح الباري - "لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنها ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا لعنهم النبي ﷺ ومنع المسلمين عن مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجدًا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه إليه فلا يدخل في اللعن المذكور"[١].

وقد عقبه العلامة السمنودي قائلاً: كيف وقد قال تعالى في أهل الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[٢].

ذكر المفسرون أن الذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون، قال العلامة الخفاجي في العناية - وهو

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ١ / ٤١٧ ط البهية : وسعادة الدارين ١ / ١١٥ .

(٢) سورة الكهف / ٢١ .

حاشية على تفسير البيضاوي - في هذه الآية دليل على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين[1].

وهكذا ينبلج صبح الحقيقة ويسطع ضوؤها ليبدد ظلمات الوهم القاتم ليبقى الحق ناصعًا وتنقشع بدعة القول بتحريم الصلاة في المساجد التي بها أضرحة. فلا تثريب على المسلمين من الصلاة فيها بل هي مستحبة لاشتمالها على رياض الجنة طالما لا يُصلَّى فوق القبور ولا إليها بأن يتخذ قبلة للصلاة، وهذا لم ولن يفعله أحد من المسلمين ببركة سيد المرسلين ﷺ فإنه لا يوجد ضريح في مسجد إلا وهو محاط بمقصورة من نحاس أو خشب للحيلولة بين المصلين وبين الأضرحة.

وبمنطق الشرع والعقل أقول: إنه لو حرمت الصلاة في كل مسجد مشتمل على قبر أو ضريح لحرُمَت الصلاة

---

(١) انظر "سعادة الدارين" ١ / ١١٥.

بالمسجد الحرام لوجود قبر سيدنا إسماعيل وأمه السيدة هاجر به باتفاق العلماء فضلا عن كثير من الأنبياء دفنوا بين زمزم والحطيم.

ولحَرُمَتْ أيضًا الصلاةُ بالمسجد النبوي الشريف لوجود قبره ﷺ وقبريْ سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما، ولا يقال إن إدخال القبر الشريف في المسجد كان من بعده مما يسقط الاحتجاج بذلك لأنه أدخل في القرن الأول على عهد ولاية الوليد بن عبد الملك بين سنتي ٨٨ و ٩٣ هـ ولم يزل آنذاك صحابة للنبي ﷺ أحياء ولم يؤثر عنهم أي إنكار لذلك وكذلك لو حرمت الصلاة بالمساجد المشتملة على قبور لحرمت في المسجد الأقصى المشتمل على العديد من قبور أنبياء بني إسرائيل وتلك هي المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها أفنحرم الصلاة فيها وفي آلاف

المساجد في شتى بقاع الأرض بدوافع بدعية مارقة عن الصواب؟؟ كلا ثم كلا.

ثم إنني أوكد أخيرًا: أننا بهذا الدفاع عن التوسل والتبرك والتدليل على مشروعيتهما إنما نبغي تطهير ساحة الأمة الإسلامية من دعاوي الشرك والوثنية، ولا نستهدف إطلاقًا فرض هذه المفاهيم الصوفية أو تعميم سلوكياتها فإنها من قبل ومن بعد: أذواق ومواجيد خاصة بأهلها ولا نفرضها على من سواهم فإن "من ذاق عرف"!!

الشبهة الخامسة
حول مشروعية إهداء قراءة القرآن وسائر القربات للأحياء والأموات

من الحقائق المؤكدة التي قررها القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع وأكدها علماء الأصول أن الله سبحانه شرع الأحكام لحكم ومصالح يود نفعها على العباد رحمة بهم وتيسيرًا عليهم كما قال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾، ولكن فريقًا من الناس قد عمدوا إلى تضييق رحمة الله الواسعة وجنحوا إلى التشديد على الأمة فحرموا ما أحل الله افتراء على الله، وأشاعوا في أجهزة الدعوة والإعلام تحريم أمور كثيرة توفرت الأدلة والبراهين على حلها واستحبابها.

ومن ذلك دعواهم أن قراءة القرآن واهداء سائر القربات للغير أحياء وأمواتًا من البدع المحرمة، وهذه الدعوى مجانبة للحق والصواب وافتراء على الله ورسوله، وهذه الطائفة من الأدلة الشرعية المثبتة لجواز قراءة القرآن الكريم والذكر والعبادة واهداء ثوابها للأحياء والأموات على السواء.

(فالدليل الأول):

أن الإمام البخاري رضي الله عنه جعل عنوان باب – من كتاب الجنائز في صحيحه "باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة" وروى فيه بسنده عن طلحة بن عبد الله بن عوف أنه قال: "صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، قال ليعلموا أنها سنة"[1].

---

(١) انظر صحيح البخاري ١ / ١٦٠ ط / حجازي.

(والدليل الثاني):

وفيه مشروعية صلاة الجنازة على القبر كما يفيـد مشروعية الصلاة مطلقًا بجوار القبور ما لم نبش: مـا رواه البخاري – في نفس الكتاب والباب من صحيحه – عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أسود – رجلاً كان أو امرأة: كان يقم المسجد (أي ينظفه) فمات ولم يعلم النبي ﷺ بموته: فذكره ذات يوم فقال ﷺ : ما فعل ذلك الإنسان؟ فقالوا: مـات يـا رسـول الله، قـال: أفـلا أذنتموني؟ فقالوا: إنه كان كذا، قـصته، قـال فحقـروا شأنه. قال: فدلوني على قبره: فأتى قبره فصلى عليه[1] ولا يخفى أن صلاته ﷺ مشتملة على تلاوة القرآن والدعاء لرحمة الميت.

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٦١ ط حجازي، كما أخرجه مسلم في صحيحه (رقم ٩٥٦) من حديث ثابت البناني عن أبي رافع عن أبي هريرة.

(الدليل الثالث):

أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما عن معقل بن يسار وأن النبي ﷺ قال: "البقرة" سنام القرآن وذروته، ونزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، من تحت العرش فوصلت بها، "ويس" قلب القرآن ولا يقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم [١] وقد رد الأمير الصنعاني في "سبل السلام" (٢/٢٤٤) على من قال إن المراد بالميت هنا المحتضر: بقوله: "وهو شامل للميت بل هو الحقيقة فيه" [٢].

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ٥ / ٢٦ وبقية في راموز الأحاديث للشيخ أحمد الكمشخانوي ص ١٩٥ .

(٢) انظر كشف الستور عما أشكل من احكام القبور ص ٢٣٤ ط / دار الفقيه.

(**الدليل الرابع**):

وهو من كتاب "الروح" لابن القيم السلفي – حيث روي فيه عن الخلال عن الحسن الوراق، قال: حدثني علي بن موسى الحداد وكان صدوقًا، قال: "كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامه الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضريرًا يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا، إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامه لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: كتبت عنه شيئًا؟ قال: نعم، قال: فأخبروني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك: فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ" [1]، هذه هي السلفية المختلفة المدعاة!!

---

(١) انظر كتاب الروح لابن القيم بتحقيق الدكتور حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي ود. عبد الحميد مصطفى ص ٣٧.

الدليل الخامس:

ما نقل عن السلف الصالح – تطبيقًا – من المصادر السلفية المنصفة، فقد نقل ابن القيم أيضا – في كتاب الروح – عن العلامة الخلال "السلفي" عن الإمام الشعبي – وهو من سادات التابعين – أنه قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن [1].

الدليل السادس:

ما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن الإمام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: (مر النبي ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير – ثم قال – بلي: اما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لات يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عودًا فكسره باثنين، ثم غرز كل واحد منهما

(١) المصدر نفسه ص ٣٧.

على قبر ثم قال: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[1].

قال الإمام الخطابي: فيه دليل على استحباب تلاوة الكتاب العزيز على القبور لأنه إذا كان يرجي عن الميت التخفيف بتسبيح الشجر فتلاوة القرآن أعظم رجاءً وبركة[2].

(**الدليل السابع**):

أخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي الشعثاء جابر بن زيد – وهو من ثقاة التابعين: أنه يقرأ عند الميت سورة "الرعد". قال الحافظ ابن حجر سنده صحيح[3].

وفي سبل السلام للصنعاني: أخرج أبو الشيخ في

---

(١) انظر المسند للإمام أحمد ١ / ٢٢٥ وصحيح البخاري حديث رقم ٢١٨ وصحيح مسلم رقم ٢٩٢ .

(٢) انظر كشف المستور عما أشكل من أحكام القبور للأستاذ محمود سعيد ممدوح ص ٣٦.

(٣) انظر كشف الشبهات عن إهداء القراءة وسائر القرب للأموات للشيخ محمود حسن ربيع ص ٣٨ .

فضائل القرآن وأبو بكر المروزي في كتاب الجنائز عن أبي الشعثاء – صاحب ابن عباس – أنه يستحب قراءة سورة الرعد. وزاد فإن ذلك يخفف عن الميت. وفيه أيضا عن الشعبي: كانت الأنصار يستحبون أن يقرأ عند الميت سورة "البقرة".

هذه بعض الحجج والأدلة التي تثبت وتؤكد مشروعية قراءة القرآن واهداء ثوابها للأموات.

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه بجاه من أرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه والتابعين، واحشرنا اللَّهُمَّ بحقهم في زمرة أوليائك المقربين اللَّهُمَّ آمين يا رب العالمين.

السيرة الذاتية

للعالم الصوفي الجليل العارف بالله تعالى

الأستاذ الدكتور/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي

نائب رئيس جامعة الأزهر، ومؤسس كلية القرآن الكريم بطنطا

تاريخ الميلاد: ٤/٧/ ١٩٤٤م

محل الميلاد: العزيزية- مركز منيا القمح- محافظة الشرقية، وأتم بها حفظ القرآن الكريم قبل الثامنة من عمره.

مشوار حياته:

(١) التحق بالمعهد الأحمدي بطنطا، وحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٥٩م والثانوية الأزهرية سنة ١٩٦٤م.

(٢) التحق بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٦٤م وحصل منها على الإجازة العالية (الليسانس) في التفسير والحديث عام ١٩٦٨م بتقدير عام جيد جدا مع مرتبة الشرف الثانية، وكان ترتيبه (الأول).

(٣) عين معيدا بقسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة في أبريل ١٩٦٩م.

(٤) حصل على درجة التخصص (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن الكريم سنة ١٩٧٠م بتقدير (ممتاز).

(٥) حصل في يناير ١٩٧٧ على درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن الكريم بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتداولها بين الجامعات، وكان موضوع الرسالة (الواحدي ومنهجه في التفسير).

(٦) عين في فبراير سنة ١٩٧٧ مدرسا بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم بكلية أصول الدين بالقاهرة.

(٧) في سبتمبر سنة ١٩٧٧ وافق مجلس جامعة الأزهر على نقله بناء على طلبه مدرسا بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا وقام بأعمال رئيس قسم أصول الدين بالكلية.

(٨) في فبراير سنة ١٩٨١ رقي إلى درجة أستاذ مساعد، وقام بعمل رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.

(٩) في مارس سنة ١٩٥٨ رقي إلى درجة (أستاذ) وعُين رئيسا لقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم بالكلية.

(١٠) في فبراير سنة ١٩٨٦ صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف بتعيينه مقررا للجنة

القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

(١١) في سبتمبر سنة ١٩٨٦ عين وكيلا لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.

(١٢) في عام ١٩٨٨ عين عضوا بالمركز الدولي للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ثم عين بعد ذلك عضوا بلجنة القرآن الكريم وعلومه.

(١٣) في عام ١٩٩١ عين عميدا لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا.

(١٤) في عام ١٩٩٢ عين مشرفا وقائما عميدا لكلية القرآن الكريم وعلومها بطنطا لدى افتتاحها وبدء الدراسة بها، بعد أن تم تأسيسها والإشراف على إنشاء المبنى الخاص بها بالجهود الذاتية.

(١٥) في عام ٢٠٠٢ صدر قرار الأستاذ الدكتور/ رئيس الـوزراء بتعيينـه عميـدا لكليـة القـرآن الكـريم وعلومها بطنطا.

(١٦) عين في سنة ٢٠٠٢ رئيسا لنادي هيئة التـدريس لجامعة الأزهر فرع الوجه البحري.

(١٧) في ديـسمبر ٢٠٠٦ صـدر قـرار الـسيد الأسـتاذ الدكتور/ رئـيس الـوزراء بتعيـين فـضيلته نائبـا لرئيس جامعة الأزهر الشريف للوجـه البحـري- فرع طنطا.

(١٨) رئيس مجلس إدارة الجمعية الأحمديـة الجوديـة النقشبندية منذ تأسيسها عام ٢٠٠٦م.

(١٩) في يناير ٢٠٠٧ صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور/ رئيس الـوزراء بتعيـين فـضيلته عـضوا بمجمـع البحوث الإسلامية (هيئة كبار العلماء).

(٢٠) عضوا بنقابة السادة الأشراف بالغربية.

أختير فضيلته:

(١) عضوا بالمجلس الأعلى للأزهر الشريف.

(٢) عضوا باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في التفسير وعلوم القرآن الكريم بجامعة الأزهر الشريف.

(٣) عضو باللجنة العلمية بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية.

مؤلفاته ومساهماته العلمية:

(١) لفضيلته نحو أربعين كتابا من تأليفه في التفسير التحليلي والموضوعي وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية والتصوف الإسلامي (تأليفا وتحقيقا).

(٢) شارك التأليف في الموسوعة القرآنية المتخصصة التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٣) أشرف على نحو أكثر من خمسين رسالة ماجستير

ودكتوراه وناقش عددا وفيرا من الرسائل الأخرى.

(٤) قام فضيلته بإعداد وأداء مئات من الأحاديث العلمية الإذاعية والتلفازية في القنوات المختلفة من أبرزها برنامج (حديث الروح) و(قضايا معاصرة)، و(في نور الإسلام)، و (في نور القرآن)، و(آيات محكمات)، و(كلمات الرحمن)، و(آل البيت)، و(أسماء الله الحسنى)... وغيرها.

(٥) لفضيلته محاضرات مسجلة في التفسير الصوفي الإشاري لسورتي (يس والفتح) بأكاديمية العشيرة المحمدية، وكذلك لفضيلته محاضرات صوفية في شرح كتاب (منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين) لشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري.

(٦) لفضيلته موسوعة (آل البيت المحمدي) تحت الطبع، وتم إذاعتها ببرنامج (آل البيت) بإذاعة القرآن الكريم على مدار خمس سنوات متصلة.

(٧) لفضيلته الموسوعة الأحمدية (في مناقب القطب الرباني سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه).

(٨) لفضيلته أكثر من مائة حلقة مسجلة في تفسير القرآن الكريم بالمسجد الأحمدي بطنطا.

(٩) شارك فضيلته في العديد من مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومؤتمرات التصوف الإسلامي بالداخل والخارج.

(١٠) لقب بالمدافع الأول عن التصوف في عصره وبمحامي الأولياء، وخصوصا بعد ما أصل لإستمداد جميع مفاهيم التصوف الإسلامي من الكتاب والسنة في موسوعته الشهيرة (التصوف روح الإسلام) وبعد ما ترجم لأئمة التصوف الإسلامي منذ القرن الأول الهجري إلى عصرنا هذا في كتابه القيم (أعلام الصوفية).

أخر كلماته:

آخر الكلمات التي كان يرددها فضيلته ويتمسك بها في حياته وقبل الانتقال:

(١) الرضا والتسليم.

(٢) إن ربي على صراط مستقيم.

(٣) لهم البشرى.

(٤) سلام عليكم طبتم.

وفاته:

توفى رضي الله عنه في الثاني والعشرين من ذي القعدة ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠/ ١٠/ ٢٠١١، ومقامه العامر بالأنوار بمقابر طنطا.

رضي الله تعالى عنه، وجزاه عنا خير الجزاء كفاء ما قدم من خير ونفع وعلم وإمداد.

مؤلفات

العارف بالله تعالى الأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدي

رضي الله عنه

أولا: في التفسير التحليلي:

١- ضياء الفرقان في تفسير القرآن (تدبر اسرار التنزيل). دراسة تحليلة في التفسير والتأويل. صدرت في أربعة أجزاء طبع أولها سنة ١٩٨١ وثانيها ١٩٨٥ وثالثها ١٩٨٦ ورابعها ١٩٩٩ (بمطابع دار التراث العربي ومطبعة نفرتيتي).

٢- فتح الملك العلام في تفسير سورة الأنعام دراسة تفسيرية تحليلة. صدر الجزء الأول منها (الاستينسل ١٩٨٥).

٣- أنوار التبيان في تفسير سورة يس قلب القرآن صدر جزء منه (مطبعة سنة ١٩٨٦).

٤- تربية المجتمع المسلم بالمبادئ الربانية كما تجسدها سورة الحجرات صدر سنة ١٩٨٤ (مطبعة نفرتيتي القاهرة). رقم الإيداع ١٥٨٣/ ١٩٨٤.

٥- سلاسل الذهب الابريز في تفسير بعض سور الكتاب العزيز (تحت الطبع) السور التي قام فضيلته بتفسيرها بإذاعة القرآن الكريم.

ثانيا: في التفسير الموضوعي:

١- قصد السبيل في التفسير الموضوعي لأي التنزيل صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٨١ دار الطباعة المحمدية وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية "مختصرا" تحت عنوان (الإيمان والتقوى في القرآن الكريم) رقم الإيداع ٩٨٦٠/ ١٩٩٥.

٢- حقيقة الإيمان ودعائمه في ضوء القرآن الكريم.

٣- بحث مخطوط نال به درجة التخصص "الماجيستير" عام ١٩٧٠.

٤- **ثالثا: في علوم القرآن الكريم:**

١- فتح الجليل في علوم التنزيل (مطبعة الحرمين بطنطا).

٢- ثمار الجنان في افنان من علوم القرآن صدر سنة ١٩٨٣ دار الرسالة بالقاهرة.

٣- فضائل القرآن العظيم نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن سلسلة القضايا الإسلامية الشهرية العدد ٥٢ عام ١٩٩٩.

رابعا: في مناهج المفسرين:

- الواحدي ومنهجه في التفسير:

وهو البحث الذي نال به درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع الطبع على نفقة الجامعة ومع التوصية بتداولة بين الجامعات.

وقد صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩م.

خامسا: في الحديث النبوي الشريف:

- دراسات في الحديث النبوي الشريف

مخطوطه صنفت سنة ١٩٨١ بدار مهنى للآلات الكاتبة والطباعة بطنطا.

سادسا: (السيرة النبوية وسيرة آل البيت):

١- هدى النيرين في سيرة سيد الكونين (أعظم المرسلين) ﷺ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ والطبعة الثانية برقم ايداع ٨٣٥٥/ ١٩٩٧ دار غريب.

٢- آل البيت المحمدي (تحت الطبع).

مادة إذاعية اذيعت بشبكة القرآن الكريم في أكثر من ثلثمائة حلقة.

سابعا: في التصوف الإسلامي:

١- بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية برقم إيداع ٣١٨٩/ ١٩٩٨

Is b n ٩٧٧- ٢١٥- ٣٠٠-٩

٢- موسوعة التصوف روح الإسلام صور الجزء منها سنة ٢٠٠٨ برقم إيداع ٢٤٢٢ دار غريب
Is B n ١٩٧٧- ٢١٥- ٩٩١- ٠

٣- النفحات الجودية في مآثر وأذكار الطريقة النقشبندية ومناقب مولانا الشيخ جودة إبراهيم الحسني رضي الله عنه الطبعة الأولى ١٩٨٩ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

٤- الموسوعة الأحمدية (حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي) رضي الله عنه.

صدر الجزء الأول سنة ٢٠٠٤ دار جوامع الكلم برقم ايداع ١٧٥٧٧/ ٢٠٠٤.

الترقيم الدولي ٤ -٨٩- ٥٢٥٩- ٩٧٧

٥- البراهين الجلية في رد شبهات خصوم الصوفية (معالم الطريق الصوفي) برقم ١٧٧٣٨/ ٢٠٠٥ الدار الجودية.

٦- الاتجاه الصوفي عند آئمة تفسير القرآن الكريم برقم ١٦٧٢/ ٢٠٠٧ الدار الجودية.

٧- المعالم الصوفية في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام يليه حقيقة الرابطة في الطريقة النقشبندية يليه مقدمة في التفسير الاشاري برقم إيداع ٣٥٨٢/ ٢٠١١ الدار الجودية.

٩٧٨- ٩٧٧- ٤٦٢- ٠٦١- ٤

٨- محاضرات في الفقه الصوفي للتفسير "باكاديمية السيرة المحمدية" "في التفسير الاشاري الصوفي الحق من خلال سورة يس" رقم الايداع بدار الكتب ٥٦٦٨/ ٢٠٠٦" المركز العربي للطباعة".

٩- محاضرات في التفسير الصوفي الاشاري لسورة الفتح ألقاها فضيلته عام ٢٠٠٧ باكاديمية السيرة المحمدية.

ثامنا: (كتب التحقيق):

١- تحقيق كتاب مناقب القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه للعلامة الشيخ محي الدين ابي الأنس رضي الله عنه رقم إيداع ٢٣٨٦٢/ ٢٠٠٥ الدار الجودية.

٢- تحقيق مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية للإمام عبد الغني النابلسي رضي الله عنه رقم ايداع ٢٩٢٧/ ٢٠٠٨ الدار الجودية.

٢ -٩٣- ٦١٥٦- ٩٧٧-

٣- تحقيق كتاب الميزان الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية لسيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه رقم ايداع ٢٢٦٠/ ٢٠٠٦ الدار الجودية.

٢ -٤٥- ٦١٥٦- ٩٧٧-

٤- فك رموز ومعالجة مشكلات كتاب السر في انفاس الصوفية لسيد الطائفة الصوفية الإمام أبي

القاسم الجنيد رضي الله عنه رقم إيداع ١٤٧١٤/ ٢٠٠٣ دار جوامع الكلم.

تاسعا: (**الأوراد مجمع وتحقيق**):

١- مفاتيح الحضرة الإلهية في أذكار وأوراد الطريقة النقشبندية الطبعة الثالثة برقم ٨٨٣٣/ ١٩٩٩، الترقيم الدولي/ ١ -٩١١٩ -١٩ -٩٩٧

٢- مجموع أوراد حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه طبعة- الدار الجودية ٢٠٠٩.

٣- مجموع أوراد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه برقم ١٣٠٧٩/ ٢٠٠٨ الدار الجودية.

٤- مجموع أوراد سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه برقم ٨٧٦٩/ ٢٠٠٩ الدار الجودية.

٥- مجموع أوراد وصلوات سيدي محي الدين بن عربي رضي الله عنه برقم ٢٣٦٢٩/ ٢٠٠٨ الدار الجودية. ٣-١٣-٠١٣-٤٦٢-٩٧٧-٩٧٨

٦- مجموع أوراد وصلوات سيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه برقم ٨٣٣٣/ ٢٠١٠ الدار الجودية.

٧- استغفار أيام الأسبوع للإمام الحسن البصري رضي الله عنه (جمع وتوثيق) برقم ١٧٥٧٠/ ٢٠٠٨ الدار الجودية. وترقيم دولي -٢٦٢ -٩٧٧ -٩٧٨ ٢ -٧-٠٠

عاشرا: الأبحاث والمقالات والبرامج (تجمع في كتاب):

١- المشاركة في الدفاع عن الشيخ العامل الدكتور محمد بن علوي المالكي بحث بعنوان (الانتصار لسالك الصوفية الأخيار) ضمن كتاب (انصاف المالكي) الصادر عن المؤسسة الإسلامية بمدينة كفر صفر برقم ٣٨٦٢/ ١٩٨٥م.

٢- المشاركة في التأليف في الموسوعة القرآنية

المتخصصة التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ببحث (الوحي في ضوء القرآن الكريم).

٣- المشاركة في المؤتمر الوطني للتصرف الإسلامي بماليزيا ٢٠٠٤م بالبحث العلمي "حقيقة الرابطة في الطريقة النقشبندية".

٤- المشاركة ببحث المعالم الصوفية في قصة سيدنا موسى والخضر عليه السلام وقد نشر بمجلة كلية أصول الدين بطنطا سنة ١٩٨٨ وهو قسم من دراسة شاملة تحت عنوان أصول التصوف في القرآن الكريم والسنة المحمدية.

٥- قام بتفسير أكثر من مائة حلقة "مسجلة" في سورة البقرة بمسجد سيدي أحمد البدوي بطنطا رضي الله عنه.

٦- قام فضيلته بإعداد واداء مئات من الأحاديث العلمية الإذاعية والتلفازية في القنوات

والإذاعات المختلفة على مدى ثلاثين عاما ومن أبرزها برامج (حديث الروح- أسماء الله الحسنى- في بيوت الله- آيات محكمات- كلمات الرحمن- آل البيت- التفسير التحليلي والموضوعي لكتاب الله بإذاعة القرآن الكريم- دوحة الدعاء- في نور الإسلام- في نور القرآن- قضايا معاصرة.

٧- قام بشرح كتاب منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين، لشيخ الإسلام سيدي عبد الله الأنصاري رضي الله عنه بالجمعية الأحمدية الجودية النقشبندية بالقاهرة وباكاديمية العشيرة المحمدية.

٨- وصاياه في التصوف

أ- لماذا نريد التصوف الإسلامي "عشرة أسباب".

ب- الوصايا العشر الصوفية لتحقيق السعادة الأبدية.

الفهرس





طبع - نشر - توزيع

القاهرة - المنطقة الصناعية - العباسية

تليفون وفاكس: ٥٥٨ ٦٧٠ ٢٤ ٢ ٠٠٢٠٢